الفصل الأول

البطالة في

ميزان الإسلام

- الراهن الحضاري ومشكلة البطالة.
- أسباب مشكلة البطالة في ضوء الكتاب والسنة.
- أنواع البطالة.
- آثار البطالة من منظور إسلامي.

المبحث الأول

الراهن الحضاري ومشكلة البطالة

التمهيد

إن مشكلة البطالة تحتاج قبل الخوض في علاجها محاولة تشخيص مكمن الداء فيها، من خلال نظرة في الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية والإسلامية – بفضل من الله ونعمة – مع بيان علاقة ذلك بالراهن الحضاري الذي يعيشه المجتمعات العالمية بمشكلة في ضوء مشكلة البطالة، وأثره في استفحال المشكلة على الصعيد الإسلامي والعالمي.

وسوف يتم تشخيص أسباب البطالة في ضوء من كتاب الله وسنة النبي ﷺ مع بيان أنواع البطالة، والنظر في آثارها بغية الوقوف على حقيقة المشكلة في التصور الإسلامي للبحث في الوسائل، والتدابير الإسلامية في علاجها ومواجهتها.

المطلب الأول: الراهن الحضاري:

إن الراهن الحضاري هو الحالة الراهنة التي يمر بها العالم، من نظام اقتصادي له أثر كبير على مشكلة البطالة، هذا النظام هو ما يسمى بالعولمة.

والعولمة في اللغة: «على وزن (فوعلة) وهو من الأوزان الدالة على القسر والإجبار وهى تعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، ووصف روجيه ودي جار العولمة بأنها قطبية في العلاقات الدولية وضد الهويات الثقافية والدينية لكل الحضارات الأخرى»[1]، وفى بيان مفهوم العولمة يقول صبري عادل إبراهيم: «وقد تعددت مفاهيم العلماء حولها، غير أن الأبرز فيها ثلاثة أمور: العولمة السياسية، والعولمة الاقتصادية، والعولمة الثقافية، فهي تعتمد على الأحادية في كل ذلك أي أرض بلا حدود، وسوق بلا حدود، وثقافة بلا حدود»[2]، ولا شك أن العولمة امتداد طبيعي للنظام الرأسمالي الذي نشأ في أوربا

---

(١) «القيم الدينية وثقافة العولمة» دكتور الصاوي الصّاوي أحمد ص ٦٦.

(٢) « العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» صبري عادل إبراهيم ص٦٨.

وذلك إثر ثورة عنيفة على الظلم في الحياة الاقتصادية، والحكم الاستبدادي في الحياة السياسية، وجمود الكنيسة وما إليها في الحياة الفكرية.

العولمة وعلاقتها بالرأسمالية:

إن العولمة امتداد طبيعي للرأسمالية، لأن للتجارة والصناعة دخلًا واضحًا في أصل نشأة كل منهما، ولأن الرأسمالية صورة صغرى من عولمة الاقتصاد والاستثمار، ولقد بين ذلك الدكتور جودة أحمد، فقال: «لقد كانت الرأسمالية في بداية عهدها تتسم بالطابع التجاري، وتعتمد على التجارة في تنشيط حركتها، ومن ثم أطلق عليها رجال الاقتصاد اسم «الرأسمالية التجارية» لأنها قامت على التجارة، فلما حدثت الثورة الصناعية في صدر القرن التاسع عشر الميلادي، باختراع الآلة الصناعية، وتحولت الرأسمالية إلى ما أطلق عليه «رأسمالية صناعية» اجتمعت لها كل أسباب القوة الذاتية حتى صارت ذات تأثير على المجتمع العالمي كله، ولئن كانت الرأسمالية قد نشأت في بداية عهدها في المجتمع الأوربي وخاصة إنجلترا، فإنها أخذت في التسلل إلى بقية المجتمعات ومنها المجتمعات الإسلامية، وساعد على ذلك الاستعمار الغربي لبلاد أفريقيا وآسيا» [1]، فعلاقة الرأسمالية بالعولمة علاقة الجد بالحفيد وما بينهما من وشائج القربى والدم؛ فإن صَلُح الأصل صَلُح الفرع.

مفاسد الرأسمالية:

ولقد ثبت ذلك الامتداد الطبيعي للرأسمالية وهذا النمو السريع على حساب البيئة والإنسان والأعراف والأخلاق تحت ستار الحرية، فهذا منطق العولمة اليوم التي تطوع كل شيء لمصلحة الأغنياء – وهم أفراد قليلون – حتى ولو كان ذلك على حساب بطالة آلاف الأيدي العاملة، ويعتبر من مفاسد رأسمالية الأمس وعولمة اليوم ما بينه أحد العلماء فقال: «كشفت التجربة الواقعية المآسي التي عادت على المجتمع البشرى بأضرار فادحة منها:

---

(١) «محاضرات في النظام المالي في الإسلام» دكتور جودة أحمد جودة، ص٣٩.

١- إهدار القيمة الحقيقية للإنسان:

فالنظام الرأسمالي أهدر هذه القيمة الحقيقية للإنسان، حيث يقوم على فكرة «الفردية» بمعنى تحقيق مصلحة الفرد الشخصية ومنفعته الذاتية، ذلك أن هذه الفكرة تصور الإنسان تصويرًا ماديا خالصًا، فتجعل قيمته في رأس ماله وغايته المنفعة الخاصة دون اعتبار للجانب الروحي الذي هو قيمة الإنسان الحقيقية، ومن ثم فإن الإنسان في هذا النظام واحد من اثنين: إما غنى طاغية يعيش حياته في سبيل تكثير ثروته واكتنازها، من الطبقة العليا، وإما فقير معدم مستعبد لأصحاب رؤوس الأموال، من الطبقة الدنيا، ولاشك أن هذا أدى لكثير من العلل الاجتماعية، الطبقية أظهر هذه العلل وأقلها.

٢- إهدار القيم الأخلاقية.

إن النظام الرأسمالي نظام علماني مادي، يقوم على الفردية والأنانية، ويطلق الحرية الاقتصادية للفرد دون قيد يحول بينه وبين مصلحته الذاتية، فترتب على ذلك إهدار القيم الأخلاقية التي تحكم العلاقات بين الأفراد والجماعات، فأقصيت الأخلاق من الحساب ولم يلحظ لها وجود في ذلك النظام، وهذا ما جعل كثير من مفكري الأمة اليوم الدعوة لاستعادة منظومة القيم الإنسانية الخُلُقِية.

٣- المفاسد الاقتصادية:

ظهرت العديد من المفاسد الاقتصادية من العولمة، منها ما يلي:

(أ) انتشار المعاملات الربوية، والتجارة في المحرمات الشرعية، وذلك بحجة حرية التجارة والحرية الاقتصادية.

(ب) عموم البطالة في الأفراد حيث استغنى صاحب رأس المال بالآلة الحديثة عن الأيدي العاملة لتقليل نفقاته.

(جـ) الاحتكارات[1]، وذلك تحت فكرة المنافسة بين الأفراد.

(د) إنتاج الكماليات والترويج لها وإهمال الضروريات [2]، إلى غير ذلك من المفاسد التي شهدها العالم بسبب الرأسمالية التي تطورت واستفحلت حتى صارت عولمة في الاقتصاد، وأدت إلى بطالة كثير من الشعوب عن ممارسة حقوقها المشروعة.

المطلب الثاني: (العولمة وعلاقتها بالبطالة).

إن العولمة نظام أفرزته الدول الكبرى الغنية، فهو مصمَّم في المقام الأول لتحقيق الرفاهية والمزيد من الثراء، أما الدول الفقيرة فهي بالنسبة لهم كالمادة الخام التي تستغل مواردها الطبيعية، وفى نفس الوقت تكون سوقًا تصرف فيه ما يفيض عن حاجتها، كما أنه يقول أهل الاختصاص: «إن ٢٠٪ من السكان العاملين سيكفون في القرن القادم للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي، وبعبارة أخرى خمس قوة العمل سيكفى لإنتاج جميع السلع، ولكن ماذا عن الباقين ٨٠٪ من السكان العاطلين وإن كانوا يرغبون في العمل؟ فإنهم سيواجهون مشاكل عظيمة لا ريب» [3]، هذا بالنسبة للعاملين على مستوى العالم، وإن كانت نظرة مبالَغا فيها ولكنها مؤشر خطر.

إن نظام العولمة إذن ذو تأثير إيجابي، فزيادة عدد المتعطلين على مستوى العالم وذلك من خلال أحد طرق من ثلاثة هي الآتية: «تسريح العمال، والعمل المؤقت، وتخفيض الأجور»، وسوف أفصل القول في هذه الأمور الثلاثة بغية معرفة مدى علاقة العولمة بزيادة نسبة البطالة في العالم، ويتبين ذلك من الاستضاءة بما أوضحه أهل الاختصاص بنظرة واعية لهذه المشكلة، وتأكيد أن العولمة ذات أثر حقيقي وواقعي في زيادة نسبة مشكلة البطالة في العالم كله.

---

(١) الاحتكار هو شراء الشيء وحبسه- وخاصة في الأقوات- ليقل بين الناس فيغلو سعره، ويصيبهم بسبب ذلك الضرر، قال الجرجاني: الاحتكار حبس الطعام لوقت الغلاء، التعريفات ص ٢٦.

(٢) «محاضرات في النظام المالي في الإسلام» دكتور جودة أحمد جودة ص ٤٧ وبعدها بتصرف.

(٣) «الفكر الإسلامي ومستجدات العصر» محمود القليني ص ٧٧. «فخ العولمة»هانس بيتر مارتن وآخر ترجمة عدنان عباس ص ٣٩.

أولا: تسريح العمال

أما بالنسبة لتسريح العمال من أعمالهم بسبب قلة الإنتاج أو عدم الربح أو بسبب عدم حاجة العمل إليهم لكونهم عمالة زائدة على المنشأة الصناعية، فقال أحدهم: «إن العديد من الفروع الصناعية يعلن عن وجود تراجع في الإنتاج، وزيادة في العمالة تفوق قدرتها وفترة العمل قصيرة وضخامة حجم العمالة الزائدة، مما يؤدى إلى تهديد العاملين في الفروع الصناعية العديدة بالتسريح أو بالتقليل من قيمة مهاراتهم المهنية، إنهم ضحايا لانتشار الميكنة الصناعية» (١)، وقال آخر: «كانت أعداد العمال المسرحين في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٩٥ بلغ ٤٣ مليون شخص» (٢).

وسواء أصابت هذه الإحصاءات العدد الحقيقي للعمال المسرحين من أعمالهم، أم لم تصب، فإنه يكفي أن تكون بمثابة إقرار بواقعية هذا الإشكال من تسريح للعمال من المصانع بسبب الجري وراء زيادة الربح؛ فالحقيقة المحزنة هي أن تقليص فرص العمل يخدم مصلحة قلة من أصحاب الأسهم في كبرى الشركات، قلة من قادة كبرى المؤسسات الاقتصادية.

إن الإسلام قد شرع عدم التعسف في استعمال الحق؛ حيث إن صاحب المصنع مع أن له الحق في تسريح من شاء من العمال، لكن هذا يعتبر من التعسف في استعمال هذا الحق ينهى عنه منطق الفطرة وحكمة العقل؛ لذلك قال الله ﷻ للأزواج إذا أرادوا طلاق أزواجهم: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة:٢٣١] فالمرأة عون للرجل والمراد من التسريح: الطلاق، ويستدل بالآية الكريمة على أن التعسف في استعمال الحق يأباه الشرع الحنيف، وينهى عنه، كذلك ينبغي ألا يتعسف أصحاب المصانع في تسريح العمال لما يترتب على ذلك من أضرار فادحة نفسية واجتماعية للعمال، فضلا عن زيادة عدد المتعطلين في المجتمعات، فالعمل حق من حقوق الفرد على مجتمعه، وواجب عليه تجاهه وحياة للجميع.

---

(١) «من الحداثة إلى العولمة» تيمونز روبيرتس، إيمى هايث ص ١١٨.

(٢) «فخ العولمة» ص٢٠٤.

ثانيا: العمل المؤقت

أما عقود العمل المؤقتة، فهذا سبيل للتقليل من مخاطر البطالة حتى لا تتعاظم على العلاج، وعلى سبيل المثال: «في فرنسا فإن المؤسسات تخفض عدد عامليها على نحو مستمر، ومعدل البطالة بها زاد على ١٢٪ وإلى جانب هذا هناك ما يقرب من ٤٥٪ من مجموع العاملين يتعين عليهم التعايش مع عقود عمل مؤقتة، أو بعقود عمل لا تحميهم من التسريح المفاجئ، فإن ٧٠٪ من كل فرص العمل الجديدة كانت في عام سنة ١٩٩٤ مؤقتة لا غير، ويسرى ذلك كله في معظم دول أوربا» [١]، وليس الشرق العربي بمنأى عن مثل هذه المؤثرات التي زادت من عدد المتعطلين ببلاد الإسلام.

إن العمل حق من حقوق الإنسان الاقتصادية التي تكفله الدولة للشخص [٢]، من خلال الدين الإسلامي والقانون الدولي والإقليمي، لعمل حق العامل ينبغي أن يستقر فيه ويشعر بالاستقرار، ويطمئن حتى يتقن عمله؛ وينجز فيه فيزداد الإنتاج، أما إذا كان عكس ذلك فإن العامل سوف يتأثر إنتاجه سلبًا فضلًا عما يصيبه من علل اجتماعية ونفسية أخرى.

ثالثا: خفض الأجور:

يقول أحد المحللين الاقتصاديين: «في بلدان منظمة «التنمية والتعاون الاقتصادي» [٣]، تقلص عدد فرص العمل ذات الأجر المرتفع على نحو أسرع، وفى عام ١٩٩٦ م زاد عدد الباحثين عن العمل على ٤٠ مليون مواطن في بلدان هذه المنظمة ولكن من غير جدوى، ثم ينخفض المستوى المعيشي على نحو سريع في الأمم الرائدة في الاقتصاد العالمي»[٤]، وذلك بسبب العولمة الاقتصادية وأممية رأس المال.

---

(١) «فخ العولمة» ص ٢١٥، «العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» صبري عادل إبراهيم ص ٦٨.

(٢) «حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام» أسامة الألفي ص ٤٢.

(٣) منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي: تجمع بين ٢٣ دولة صناعية غنية وخمسة بلدان أخرى فقيرة.

(٤) «فخ العولمة»، ص ١٨٠

ويضرب مثال لذلك بصناعة جديدة مثل: صناعة برامج الكمبيوتر انخفضت أجور بعض العاملين فيها، وذلك أن: «العاملين في صناعة برامج الكمبيوتر في الولايات المتحدة الأمريكية هم أول من يعرف ذلك حينما بدأوا منذ عقد من السنين استخدام خبراء جدد من الهند بأدنى الأجور، فالكثير من الشركات نقلت أجزاء من تصنيع نظم المعلومات إلى الهند مباشرة وفى سنوات قليلة صارت مدينة «بنجالورا الهندية» المدينة الإلكترونية المتطورة، وبلغ عدد العاملين في صناعة إنتاج برامج الكمبيوتر في شبه القارة الهندية اليوم ١٢٠ ألفا، والدافع للتوسع باتجاه الهند سببان: الأول: كون العاملين تخرجوا من جامعات جيدة، الثاني: أنهم مع ذلك أرخص أجرًا من زملائهم الشماليين»[١]، وعلى أية حال خفض أجور العمال أثر من آثار آثار هذا الأسلوب الواضح في الاقتصاد العالمي بعد منتصف القرن العشرين المسمى بالعولمة،وبعد فهذه الأمور الثلاثة السابقة «تسريح العمال، وعقود العمل المؤقتة، وانخفاض الأجور» تعتبر من الآثار الاقتصادية السلبية للعولمة كنظام اقتصادي عالمي قائم على أممية رأس المال[٢]، وقد دفع إلى زيادة أعداد المتعطلين، فبات من المُلِحّ البحث عن المخرج من وطأة هذه المشكلة، لكن قبل ذلك أود أن نتعرف على حاملات بذور العولمة من دولة لأخرى، ومن إقليم لآخر، لأنها الأداة الكبرى لنشر ثقافة العولمة على الصعيد العالمي.

رابعًا: حاملات بذور العولمة:

إن الشركات متعددة الجنسيات، تعد بمثابة حاملات بذور العولمة إلى أي وطن تحط فيه، فتلك الشركات ليس لها وطن تكن له بالولاء، وليس لها قيم تنتمي لها، وليس لها مبادئ تحافظ عليها فدينها المال، وعبادتها الربح المادي، وهى تسخر كل ما حولها لتحقيق أعلى نسبة من الربح.

---

(١) "فخ العولمة" ص ١٧٦ وما بعدها.

(٢) المراد من أممية رأسمال: أي قائم على شراكة عالمية بين أفراد مختلفي الجنسيات بآلاف الملايين من العملات العالمية، وتظهر أممية رأس المال من خلال الشركات عابرة القارات.

يقول الأستاذ محمود القلليني: «لأن العولمة تعنى عالمية التسوق إنتاجًا واستهلاكًا على حد سواء، فإنها تتعارض مع مفهوم الاقتصاد الوطني ولا يعنيها في شيء مصلحة اقتصاد البلد الذي تعمل فيه، وهذه الشركات العملاقة تعمل وفق مبدأ المنافسة فتسعى للحصول على إنتاج جيد بجودة عالية، وسعر أقل، ويد عاملة أرخص، واستثمارات أقل تكلفة» [1].

ولقد أدى اندماج الشركات الكبرى إلى تسريح العمال، وأنكر العقلاء ذلك حيث قال أحد الأساتذة في جامعات أوربا: «حينما تندمج الشركات الكبرى مع كبرى مؤسسات العالم، مع أن أداءها على أفضل نحو وتلغيان خمسة عشر ألف فرصة عمل، فإن هذا الاندماج لا يمكن أن يكون أمرًا واجبًا تمليه عليهم الإرادة الإلهية ممثلة «بالسوق الحرة» بل هو حصيلة تهافت قلة على جني الأرباح» [2].

كلمة لابد منها:

إن الراهن الحضاري يشهد بهذا التدهور في أحوال العاطلين، لصعوبة الحصول على فرصة العمل المناسبة، وزيادة أعداد العاطلين، وانخفاض الأجور ولذلك كله أسباب يختزلها الاقتصاديون في كلمة واحدة فقط هي «العولمة» [3]، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]. لقد تطلع بعض الغربيين إلى نظام أكثر إنسانية ورحمة من النظام الرأسمالي فيقول: «بعدما حولت الرأسمالية وجه الأرض تحويلًا متسارعًا في السنوات الثلاثمائة الأخيرة، من غير المحتمل أن تستمر على ذلك، وعلينا أن نفكر بشأن النظام الاجتماعي الذي يجب أن يحل محله» [4].

---

(١) «الفكر الإسلامي ومستجدات العصر» محمود القلليني ص ٨٤ وبعدها.

(٢) وكان القائل هو: دكتور كريستوف شون برن، درس في جامعة فريبرج السويسرية، وهو مطران مدينة فيينا. «فخ العولمة» ص ٢١٧، «العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» ص٣٧.

(٣) «فخ العولمة» ص٤٢.

(٤) «من الحداثة إلى العولمة» ص ١٧٦.

وبناء على ذلك فإن النظام الاجتماعي الذي يصلح ولا يفسد، يعمر ولا يدمر ويعين ذوى البطالة بخلق فرص العمل لهم، ويعينهم على تحقيق الكفاية لهم ولمن يعولون هذا النظام هو الإسلام، دين الله الخاتم، الذي ارتضاه لعباده الصالحين؛ فالله الذي خلق الإنسان وسخر له الكون كله وأمره بأن يسير في الأرض سير اعتبار واكتساب لابتغاء الرزق والأجر، فقال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾

[الملك:١٥].

والإسلام هو هذا النظام العام والشامل الذي نظر إلى الإنسان جسمًا وروحًا، هيأ الله ﷻ، فيه كفاءة في الحلول والتوسع في كل ما يفيد العباد والبلاد، من خلال اجتهاد المجتهدين، ولقد ترك الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ، وعلماء الإسلام العديد من الوسائل والطرق التي فيها علاج للبطالة بكل ما نتج عنها من آثار، وما تسبب لها من أسباب، وسوف يقف الباحث على طرق من تلك الوسائل والتدابير لنتعرف على مدى الكمال في الدين الإسلامي، إذ عالج المشكلة من جوانبها، وبكل وسيلة ممكنة.

❊❊❊❊

المبحث الثاني

أسباب مشكلة البطالة في ضوء الكتاب والسنة

إن من الضرورة بمكان معرفة أسباب مشكلة البطالة، بغية إظهار المشكلة على حقيقتها، وترجع ضرورة ذلك، من وجهة نظري لأمور:

الأمر الأول: أمر الله ﷻ الأمة بأخذ حذرها من كل ما يوهنها أو يضعفها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ [النساء:٧١]. إذ يأمرنا الله ﷻ، بأخذ حذرنا، ولن يتم أخذ الحذر من أي مشكلة إلا بمعرفة حقيقتها لتلافي أسبابها والوقاية منها.

الأمر الثاني: أمر الله ﷻ الأمة بالتبين قبل الحكم على الأشياء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦].ومعرفة أسباب مشكلة البطالة تحقيق لهذا التبين بمتابعة حصر أسباب المشكلة تحقيقًا للمنهجية الإسلامية في معالجة المشكلات.

الأمر الثالث: أمر الله ﷻ في اتباع الأسباب عند معالجة أمور الحياة بصفة عامة، قال الله تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف:٨٥]. وحتى لا تذهب جهود العلماء سدى فينبغي أن يتعرضوا لدراسة أسباب المشكلة؛ فمعرفتها من المنهجية السليمة في علاج أية مشكلة، من أجل ذلك لابد من معرفة أسباب مشكلة البطالة وقوفًا على المنهج المناسب عند علاج تلك المشكلة.

وأسباب البطالة من الخطورة بمكان إذ تعددت وتنوعت؛ فرأيت أن أضعها في مطلبين: المطلب الأول الأسباب الاقتصادية للبطالة، المطلب الثاني الأسباب الأخلاقية للبطالة.

المطلب الأول: الأسباب الاقتصادية للبطالة.

مما لا شك فيه أن الإسلام جاء بنظام اقتصادي عظيم، يصلح شؤون العباد في كل زمان ومكان، شهد الله له بالكمال يقول الله سبحانه: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣]. يقول دكتور عبد الكريم زيدان: «وهذا

النظام الاقتصادي في الإسلام قائم على أساس من العقيدة مع مراعاة الفطرة ومعاني الأخلاق، والتأكيد على سد حاجات الإنسان الضرورية للحياة، لكن الناس ذهلوا عن ذلك فأصيبوا بالمشكلات»[1]، فمن أسباب البطالة اقتصاديًا.

١-سوء التخطيط.

إن سوء التخطيط[2]، أحد أسباب البطالة اقتصاديا ويظهر سوء التخطيط في مظاهر عدة منها:

(أ) غياب تحقيق التوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل المطلوب؛ فالبطالة وهى عدم توافر فرص العمل للعمال القادرين على العمل، والراغبين فيه، والباحثين عنه؛ فبينما توافرت الطاقة البشرية الراغبة في العمل، تناقصت الأعمال وهذا بسبب عدم التخطيط الذي يوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل.

(ب) غياب إعداد الكوادر العلمية التي تخطط.

(جـ) غياب إعداد الكوادر العمالية المتخصصة في كل مجال من المجالات الحرفية التي تحتاج إلى مهارة عالية وذلك بسبب نقص كفاءة مراكز التدريب والتعليم الفني الصناعي.

(د) عدم استثمار النعم والخيرات الإلهية في الكون استثمارًا عمليًا؛ فالله تعالى قدر للبشرية كلها أقواتها في الأرض، قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر:٢٠]. فالإنسان الذي عطل قواه عن استخراج الخيرات الإلهية، مع كفالة الله سبيل العيشة الكريمة في الحياة لجميع خلقه؛ لكن سوء التخطيط تسبب في ظهور البطالة.

---

(١)« أصول الدعوة » دكتور عبد الكريم زيدان ص٢٤٢.

(٢) التخطيط : هو وضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية والإنتاجية وغيرها للدولة، المعجم الوجيز ص ٢٠٣.

(هـ) الاشتغال بما ليس هامًّا ولا مهمًّا من الأعمال والمكاسب بغية سرعة ربح مادي منها، في حين هجران المكاسب والأعمال الأساسية من صناعية، وزراعية، وتجارية، وبحثية بلا اهتمام أو إنفاق.

(و) خفض الأجور عن مستوى الأسعار، فانخفاض الأجور بدرجة لا تكفى إشباع الحاجات الضرورية للحياة؛ فالعامل عندما يعمل ساعات عمل معينة يتقاضى عليها الأجر المنخفض لسد حاجاته وحاجات من يعول فهذا دافع كاف يدفع العامل لترك العمل ليبحث عن عمل بأجر أعلى، والسبب في عدم كفاية أجور العاملين لسد حاجاتهم، انعدام التوازن بين الأجور والأسعار.

(ز) إن سوء التخطيط أدى إلى ظهور ما يسمى ببطالة المتعلمين، تنبه أحد العلماء لهذا السبب حيث تخرج الكليات والمعاهد كل عام أعدادا هائلة من الخريجين، فقال: «وقد حصلوا على مؤهلات بأنواعها المختلفة يعجز سوق العمل عن استيعاب معظمهم»[1]، والمتعطل المتعلم أشد خطورة من الأمي المتعطل لأن تطلعات المتعلم العاطل أكبر وأكثر من تطلعات الأميّ العاطل، وفى كل خطورة على المجتمع.

٢-الثورة الصناعية والتكنولوجية:

إن الثورة الصناعية التي شهدها العالم منذ بداية الثورة الصناعية قبل حلول القرن العشرين ليست كلها إيجابيات، بل لها من السلبيات التي تعود على الإنسان، حيث استبدلت الأيدي العاملة الماهرة بالميكنة الصناعية مما أدى إلى بطالة الكثير من العاملين، فعلاقة التطور الصناعي بالبطالة واضحة، إذ كلما كانت الصناعة متطورة كلما تقلصت قوة العمالة، وقد اعترف أهل الاختصاص بتلك المعادلة فقال: «قد اقترن التطور التكنولوجي للصناعة بتقليص العمالة، في علاقة تناسب عكسية، فكلما ازداد التطور العلمي التكنولوجي تقلصت حاجة هذه الصناعة للاعتماد على العمالة»[2]، ولذا فإن التقدم التكنولوجي ليس كله إيجابيات، بل له من الآثار السلبية السيئة العائدة على الإنسان.

---

(١) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٢١.

(٢) « الجات ومصر والبلدان العربية » دكتور أسامة المجدوب ص٣٢١.

لقد قال أحد المؤرخين الغربيين: «اليوم تحل التكنولوجيا الرأسمالية التي تمخضت عنها الثورة الصناعية محل الزراعة، ويتحول عمال الزراعة إلى عمالة فائضة، مما يؤدى إلى زيادة البطالة في العالم» [1]؛ فالصناعة المتقدمة تقلل من الأيدي العاملة فإذا دخلتها التكنولوجيا الحديثة تقلصت أكثر أعداد العمالة بها، لذلك يصح اعتبار التكنولوجيا الحديثة، أحد أسباب البطالة إذ قد تدخلت هذه التكنولوجيا في معظم حياتنا اليومية.

إن أهل الذكر المتخصصين في قطاع الكمبيوتر يرون: «أن العمل البشري في هذا القطاع ظاهرة مؤقتة، حتى إن كان زهيد الأجر، وإن الاقتصاد القائم على المزيد من التكنولوجيا المتقدمة يتسبب – عن طريق إعادة الهيكلة – في تقليص فرص العمل، بل وتسريح للأيدي العاملة مما يؤدى إلى تفاقم مشكلة البطالة»[2]، فهذا يبين أثر من آثار التقدم على العنصر البشري.

ومع تمام الاعتراف بأن الإسلام كدين الله ﷻ الخاتم للبشرية لا يتعارض مع التكنولوجيا لذاتها، بل يعارض آثارها السلبية المترتبة عليها؛ فإن الإسلام الحنيف لا يقف حجر عثرة في طريق التقدم الصناعي والتطور التكنولوجي، ولكن لما كان ذلك لخدمة الإنسان، وكان الإنسان هو سيد هذا الكون فلابد أن تطوع هذه التكنولوجيا لعمل الإنسان لا لتوقفه عن العمل وبطالته، لذلك تعتبر التكنولوجيا الحديثة أحد أسباب البطالة، وليست كل التكنولوجيا بالطبع فهناك ما يساعد منها على جودة الإنتاج وزيادته، مثل تكنولوجيا الأسمدة الزراعية التي تزيد من الإنتاج الزراعي فهذه ليست من أسباب البطالة بالطبع.

٢-إنشاء المعاملات المحرمة:

إن المعاملات التي حرمها الإسلام لحكمة إلهية عليا، لأن الله ﷻ يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. خلق الإنسان ويعلم ما يصلح شئون حياته فحرّم كل ما يثقل عليه من الأعباء في حياته؛ فمن هذه المعاملات التي تسببت في البطالة ما يلي:

---

(١) المؤرخ هوستافر يانوس، انظر دكتور محمود أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي ص٤٦٠ ، ط مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٩١.

(٢) « فخ العولمة» هانس بيتر ص ١٧٩ وبعدها.

الربا:

لقد حرَّم الله ﷻ الربا على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥]؛ لأنه: «يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب المال إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل المال الزائد نقدًا أو نسيئه «تأخيرًا» خفَّ عليه اكتساب وجه المعيشة؛ فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات» [١]، والمتأمل في البطالة الاختيارية [٢]، وبالأخص بطالة صاحب رأس المال، الذي يقرض المضطر المحتاج بأخذ الفائدة في مقابل الأجل يجد أن صورتها منطبقة على المتعطل الخامل الذي لا يكتسب وأقرض ماله بالفائدة الربوية.

وهو عاص في دين الله، إذ اقترف ما حرم الله، وهو عاص أيضًا لعدم عمله واكتسابه بالمعاملة التي أحلها الله لعباده بالتجارة والبيع والشراء والمضاربة؛ فالبطالة بذلك تعم المجتمع لاشك هذا الشخص المرابي له سبب فيها؛ فالربا يعطل الطاقات المنتجة ويرغب في الكسل وإهمال العمل، والحياة ترقى إذا بذل الجميع طاقاتهم الفكرية والبدنية والمالية في التنمية والإعمار، والمرابي الذي ينمى ماله بالربا يألف الكسل ويمقت السعي والعمل، ثم إن تعطيل الربا الطاقات المنتجة لا يتوقف على تعطيل طاقة المرابي وحده بل إن كثيرًا من طاقات العمل ورجال الأعمال قد تتوقف وتتعطل لأن الربا يوقع العمال في مشكلات اقتصادية صعبة، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «لقد قرر الاقتصاديون أن الفائدة لا تؤدى إلى التوظيف الكامل للأموال لأنه سيوجد من يتخذون الفائدة كسبًا لذاتها من غير نظر إلى ما يشتمل عليه من إنتاج، ويحبسون أموالهم لهذا الغرض»[٣].

---

(١) «التفسير الكبير» الإمام فخر الدين الرازي ٣/ ٦٤٧.

(٢) البطالة الاختيارية: أحد أنواع البطالة التي تتبين في تقسيم مشكلة البطالة لأنواعها.

(٣) «تحريم الربا تنظيم اقتصادي» محمد أبو زهرة ص ٦٩، «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص ٢٩٧.

إن المال وسيلة إلى زيادة فرص العمل الفعلية باستغلاله في بناء المشاريع الإنتاجية والمصانع العديدة، وبذلك يكون وسيلة إصلاح للمجتمع؛ فإذا أقرض المال بفائدة لفرد واحد كان نفعه خاصًا بالمرابي ولا يكون متداولًا بين الناس فيؤدى ذلك إلى بطالة أفراد المجتمع.

الاحتكار:

ومن الأسباب الاقتصادية للبطالة الاحتكار وتظهر علاقته بالبطالة في امتناع المحتكر من طرح السلع في الأسواق مما يؤدى إلى قلة البضائع المعروضة، فيؤدى لقلة العمالة، والغرض من الاحتكار ارتفاع سعر البضائع والسلع لما تقل في الأسواق ويحتاج الناس إليها فيستغل المحتكر حاجة الناس ويرفع سعرها، قال رسول الله ﷺ: **«لا يحتكر إلا خاطئ»** [1]، هذا الحديث واضح في تخطئة المحتكر، وقد اعتبر العلماء أن الحكمة المناسبة لتحريم الاحتكار «رفع الضرر عن عامة الناس» [2]، ولابد أن تحمى الدولة السوق من جشع المحتكرين حتى لا يتضرر صغار التجار بكساد تجارتهم بسبب احتكار كبار التجار، وقد تنبه أحد العلماء لذلك من الفقه العمري فبين: «أن الأثمان تتبع العرض والطلب في القانون التجاري فكلما قلَّ المعروض من سلعة كثر طلب هذه السلعة، وارتفع ثمنها، والعكس بالعكس؛ فالمحتكر يتخفى ويتدرج حتى يجمع من السوق صنفًا معينا ثم يختزنه حتى يبدو أمام أهل السوق أنه قل وندر، فإذا كثر عليه الطلب باعه وبالغ في سعره وغالى فيه كما شاء» [3].

والإسلام إذ حرم الاحتكار في الأقوات فقد استحب جلب الأرزاق، والتفت الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ لذلك المعنى فقال:«لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا، ولكن أيما جالب جلب على كبده في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله » [4]،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، ١١ / ٤٣.

(٢) «سبل السلام شرح بلوغ المرام» الصنعانى٣/ ٣٣.

(٣) «نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب» محمد محمد المدني ص ١٥٦.

(٤) «الموطأ » الإمام مالك ٢ / ٦٩، والأذهاب جمع ذهب.

ولقد قال أهل الذكر والاختصاص في بيان علاقة الاحتكار بالبطالة: «إن الاحتكار يقلل من المنافسة في السوق ويؤدى إلى كساد بعض التجارات مما يتسبب بالتالي إلى خلق بطالة في المجتمع »[1]، فالاحتكار معاملة حذر منها الإسلام لما يترتب عليه من سيىء الآثار.

٤- اتجاه الاستثمار نحو الأنشطة قليلة العمالة:

ومن أسباب البطالة المتعلقة باستثمار الأموال: «ما تشهده الآونة الأخيرة من اتجاه نحو الأنشطة قليلة العمالة والخدمية كإنشاء قرى ومنشآت سياحية، واستغلال الشواطئ، ويعيب هذا الاتجاه محدودية فرص العمل التي توفرها هذه الأنشطة بالمقارنة بالاستثمار في مجال الأنشطة الصناعية أو الزراعية أو الإنتاج السلعي، ومن ثمَّ يكون إيجاد نوع من التوازن بين المجالات الاستثمارية المختلفة أمرًا هامًا فيما يتعلق بالمحافظة على مقدرة الاقتصاد القومي لأي دولة علي استيعاب عمالة جديدة»[2]، ولا عيب هذه الأنشطة الاستثمارية إلا في كونها تنظر لمصلحتها الخاصة دون الالتفات إلى مشكلة السواد الأعظم من شباب الأمة المتعطلين عن العمل.

٥- الإسراف وسوء استخدام الموارد:

ومن أسباب البطالة الإسراف في الإنفاق، وهو الخروج عن حد الاعتدال بالزيادة في كل التصرفات الإنسانية، وهو يؤدى لإهدار الوقت والجهد والموارد وقصورها – مع وفرتها – عن تلبية الحاجات الإنسانية، وتوفير السلع والخدمات اللازمة لإشباعها، الأمر الذي يجعل الإسراف أحد الأسباب الرئيسية لما يعانيه العالم من مشاكل اقتصادية تتمثل في عدم كفاية الموارد لتحقيق حاجات البشر، وهو ما يؤكده الواقع من إصابة البعض بأمراض التخمة والسمنة بينما يعانى أعداد متزايدة من البشر من الجوع ، وفي حين يعيش البعض حياة الترف والسرف يتعطل آخرون عن العمل»[3]، لذلك نهى الله عن الإسراف فقال ﷻ:

---

(١) «الاحتكار سهم في قلب المسيرة الاقتصادية» هشام جاد ص١٧.

(٢) «الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب» دكتور محمد رفعت قاسم ص ٢١٣.

(٣)الموسوعة الإسلامية العامة المجلس الأعلى، ص ١٣٣.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء:٥]. حرصًا على موارد الأفراد المالية؛ فالإسراف محرم على الفرد فيما يتملكه ملكية خاصة، بل نهى عن الإسراف في الأمور العادية، فقال سبحانه: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

والإسراف منهي عنه سواء في الملكية الخاصة أو العامة، والإسراف في الملكية العامة أشد حرمة لتعدي الضرر فيها إلى بقية أفراد المجتمع، ولاجتماع الإسراف مع الظلم للغير، وسوف نعرف كيف تصرف الخلفاء الراشدون في الأموال العامة، مع بيان دور ذلك في علاج البطالة.

إن ما يترتب على الإسراف مرض اقتصادي خطير يؤثر على المجتمع من خلال ظهور أعداد كثيرة من المتعطلين، فقد أمر الإسلام بحماية الثروة من الضياع، وحماية النشاط الاقتصادي من الركود أو ما يؤدى إليه، قال الدكتور عبد القادر سيد: «إن الإسراف يحول دون توافر أهم أسباب التنمية الاقتصادية، من تكوين رؤوس الأموال فهو يبددها؛ إذ يضعها في غير موضعها الصحيح، وبذلك تواجه الأمة مشكلة البطالة مما ينجم عنه عادة الخلل والاضطرابات في الحياة الاجتماعية»[1].

المطلب الثاني (الأسباب الأخلاقية للبطالة):

لقد فطر الله الإنسان على حب المال، ولم يقف الإسلام في طريق هذه الفطرة، ولكنه ضبطها بالعديد من التشريعات التي وَقَت المسلم من غُلَواء المال[2]، قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر:٢٠]. وقال ذو الجلال والإكرام: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٦-٨]. ومع عدم وقوف الإسلام ضد هذه الفطرة الإنسانية إلا أن البعض غالى في جمع المال، حتى ولو كان على حساب الآخرين، ومما أدى إلى شيوع البطالة ما يلي:

---

(٢) الأستاذ الدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف، أضواء على النظم الإسلامية، ص ٢٦١.

(٣) غلواء المال: حبه الشديد وشهوته، من الغلو وهو حدة الشيء، المعجم الوجيز مادة غلو.

(١) كنز المال وحبسه عن التداول:

من الأخلاق التي تسببت في انتشار البطالة في المجتمعات طمع أصحاب الأموال وحبهم المفرط لأنفسهم، فجمعوا الأموال وكنزوها، مع أن كنز الأموال وادخارها مع الحاجة إليها ذنب كبير، وقد توعد الله الكانزين بشديد العذاب فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤]. ومما لاشك فيه أن كنز المال عند وجود حالة الاحتياج في المجتمع مذموم عقلًا وشرعًا «وقد اختلف علماء الصحابة في المراد بهذا الكنز المذموم، فقال الأكثرون: هو المال الذي لم تؤد زكاته، وهذا قول عمر، وابنه عبد الله بن عمر، وجابر، وابن عباس ﷺ، أما القول الثاني: فهو أن المال الكثير إذا جمع فهو الكنز المذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد»[1]، والراجح هو قول الأكثرين ومعلوم أن الإنفاق الواجب هو الزكاة المفروضة، وقيل في المال حق سوى الزكاة.

ووجه كون الكنز أحد أسباب البطالة الأخلاقية أن الكانز للمال – وهو من وَكل الله إليه هذا المال – يتصرف فيه كيف شاء؛ فيبخل به ولا يستثمره، بل ولا يحسن التصرف فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]. فإذا نمّى الكانز ماله في فتح المشاريع التي تحتاج لكثافة الأيدي العاملة سرعان ما تقل أعداد المتعطلين، ولكن الكانز لا يفعل ذلك لأن حبه للمال ومنعه له، وعدم شعوره بأزمة الأمة قد تملك منه، فلم ير إلا حاجته، ومصلحته الخاصة وصدق في هذا المستكثر قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:١٩-٢١].

وحبس المال عن التداول لغير حاجة يشل الاقتصاد، ويلحق أفدح الأضرار به، فيسبب للناس ضيقا في العيش، ويؤدى للبطالة وقلة السلع ولذلك يجب استثمار المال ليكون

---

(١) «التفسير الكبير» (٧/ ٦٤٤).

متداولًا بين الناس في المجتمع ليزدهر النشاط الاقتصادي ويعم الرخاء والخير، ويبين العلماء أن: «كنز الأموال يمنع التبادل الاقتصادي، حيث إنه ضرورة لابد منها لحاجة المجتمع من أجل استخدامها في الإنتاج بأنواعه المختلفة، وأيضا في استثمار الموارد الاقتصادية المختلفة لزيادة الدخل الوطني وتنمية الثروة القومية بما يعود على البطالة بالانسحاب التدريجي لشبحها من بين جنبات المجتمع» [1]، فاكتناز المال وعدم استثماره يؤدي بلا أدنى شك إلى «سيادة الكساد، ونقص معدل دوران النقود وهذا بالتبع يؤدى إلى البطالة، أما الاستثمار للأموال فيقضى على البطالة ويثمر الرواج الاقتصادي ويزيد من فرص العمل» [2]، والكانز للأموال جاهل أو متجاهل لوظيفة المال في الإسلام، لذلك امتنع عن معاونة المتعطل من الشباب حتى ولو بمجرد إقراضه المال ليفتح مجالًا للكسب الحلال ليفيد نفسه ومن يعول هذا هو البعد الاقتصادي للكنز.

وهناك ناحية أخرى أخلاقية، فقد ذم القرآن الكريم قارون؛ إذ كنز المال ومنعه الناس أهل الحاجة والإعسار، فقال الله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٦، ٧٧]. فإن اكتناز المال يؤدى – كما بيَّن علماء الإسلام – للعديد من الأخلاق الذميمة من البغي على الناس والبطر والكبر فضلًا عن الضرر المحقق من ومما يندرج تحت الأثرة، البخل والشح، فإن صاحب المال إذا بخل به فلم يذلله في مرضاة الله والتعاون مع المتعطلين تسبب في تعقيد المشكلة أكثر، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء:٣٧].

---

(١) «أضواء على النظم الإسلامية» الأستاذ الدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف ص٢٥٢.

(٢) «النظم والثقافة الإسلامية» الأستاذ الدكتور مصطفى صميدة ص١٦٥.

(٢) الكسل والقعود:

الكسل صفة أخلاقية ذمها الشرع الحنيف في الكتاب والسنة النبوية المباركة، وإذا كانت البطالة واقعة باختيار الإنسان فإنها تكون ذات تأثير على تحضر المجتمع وتقدمه، حيث تنتكس الأمة التي اختار أفرادها البطالة على العمل والسعي، والكسل عن القيام بمهام الحياة وواجباتها، وإشباع ضرورياتها ردة حضارية كبرى فإذا وقعت فيه أمتنا فإنها تحتاج إلى أن تجيد فن الحياة وأن تعلم وظيفة المرء فيها، قال الشيخ محمد الغزالي: «إن التأخر والجمود لا يجد أوعية له أفضل من تلك الأجساد المعطلة، والمواهب المطموسة، فإن توفر ذلك في أمة من الأمم فإنها تكون أمة محتاجة إلى أن تجيد فن الحياة»[1]، واعتبار الشيخ الحياة فن من حكمة نظرته وثاقب فهمه.

إن الإنسان المتعطل إذا كان لديه المال الذي ينفق به على نفسه، وقد رفض العمل بعد أن توفر له فإنه في حكم الشرع آثم وينبغي أن ينظر في العمل المناسب الذي يقدمه، ويمارسه طلبًا للرزق الحلال فقد قال الله ﷻ ما يدل على النهى عن طلب الرزق من مجال حرام بقطع السبيل أو تطفيف الميزان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف:٨٦]. فالكسل أحد الأسباب الأخلاقية للبطالة كداء اجتماعي خطير؛ فقد يكسل المتعطل عن العمل الشاق، ويختار الدعة والراحة مع الفقر، على التعب والنصب مع الغنى عن الناس، لذلك يعتبر الكسل أحد أسباب البطالة فإذا لم تتوافر الأعمال في قرية المتعطل فليسافر إلى أخرى ولا يتكاسل، فإن اختار البطالة في قريته على الغربة في السفر فإنه يكون آثمًا لأنه عطل نفسه عن ابتغاء الرزق بكسبه وعمله قال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥]. وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠]. فلم يمش الفرد في مناكب الأرض طلبًا للرزق كما أمره الله سبحانه.

---

(١) الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر، ص ٦.

لقد وصف الله هذا الإنسان الذي تعطل بإرادته واختياره فقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦].
فالإنسان الكَلّ هو هذا الإنسان المتعطل عن العمل بسبب تكاسله حتى صار كَلًّا على الناس، أي عبئًا ثقيلًا عليهم وهى صفة ذم للكسالى بينتها الآية الكريمة التي وصفت صنفًا من المتعطلين الذين يتقاعسون عن العمل ولا يجيدون فن الحياة، لأنهم حرموا ثروة النشاط والحركة.

كما بينت الآية الكريمة العلاقة بين الكسل والبطالة فالكل لا يقدر على عمل شيء فصار متعطلًا، ولقد عبَّر عن ذلك أحد علماء القرن الخامس الهجري وهو الإمام الماوردي رحمه الله، فقال:«إن تقصير المرء عن العمل وطلب كفايته إن كان لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومرح الاغتباط فلن يعدم أن يكون كلًّا قصيًّا أو ضائعًا شقيًّا»[1]، وبذلك يتضح أثر الكسل في تفاقم المشكلة.

(٣) التواكل:

والتواكل صورة من صور الكسل والقعود عن طلب الكسب الحلال، ولكنه يلبس ثوب الدين وهو أحد أسباب البطالة، والدين الإسلامي لم يأمر به وكثيرًا ما يقترن السؤال مع التواكل على الخلق حيث يستمرئ الفرد المتواكل سؤال الناس ما يجمع به قوته وهذا عاص حيث نهى النبي ﷺ من أتاه يسأله مع قُوَّته على العمل ودله على الكسب، الذي يحمى به وجهه من ذل المسألة[2]؛ فإذا كانت بطالة المرء بدعوى التواكل فذلك عجز قد أعذر به نفسه نفسه عن مواجهة الحياة بالكد والسعي والكفاح، وشتان بين التوكل على الله تعالى مع الأخذ بأسباب الحياة ، والتواكل على العباد مع ترك أسبابها.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» الإمام الماوردي ص ٢٦١.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة ٢/ ١٢٣ رقم ١٦٤١.

ويجب التفرقة في هذا المجال بين التواكل كأحد أسباب البطالة وبين التوكل على الله ﷻ؛ فإن التوكل على الله أمر من أوامر الله لعباده المؤمنين قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. وكذلك أمر ﷻ عباده بالعمل فلا منافرة بين الأمرين، فقد يفهم البعض عن جهل، أو عمد أن التوكل قعود عن العمل وترك الأخذ بالأسباب وبالتالي يقول: إن الإسلام يغرى بالبطالة، ويوقع في شركها، ولكن حقيقة التفرقة بينهما عبر عنها الإمام القشيري رحمه الله، أحد علماء القرن الخامس الهجري فأوضح أن حقيقة التوكل أنها صفة من الصفات الإيمانية، فقال: «واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد من أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وأن اتفق شيء فبتيسيره»[1].

وبعد فإن التواكل هو اعتماد على الغير دون سعى أو عمل ولقد نهى الإسلام عنه، وسوف تثار هذه الإشكالية عند التدابير الواقية لعلاج البطالة ليتعرف المسلم على منزلة العمل والأخذ بالأسباب في الإسلام.

(٤) احتقار بعض المهن الحرفية:

إن بعض الشباب يحتقر العمل اليدوي بحجة أنه يحمل مؤهلًا جامعيًا فيستنكف أن يزاول المهن الحرفية التي شرفها الإسلام، ويرضى لنفسه البطالة ومرارتها، على أن يمتهن مهنة يقتات منها ضرورات الحياة.

والاحتقار للمهن الحرفية أحد الأسباب الأخلاقية للبطالة لأن الإسلام لم يفاضل بين الناس بما يعملونه من مهن، وإنما فضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، والعمل لا يحتقر لذاته ولا لطبيعته؛ إنما يحتقر إذا خالفت أصوله الشرع الحنيف، أو اقترف منهيًا عنه كالبغاء، وتجارة المخدرات، وبيع ما حرم الله كالخمر والخنزير.

---

(١) « الرسالة القشيرية في علم التصوف » الإمام القشيرى ص١٢٩.

إن الإسكافي الذي يخصف النعال، خير في ميزان الشرع الحنيف من المحتكر الغنى الذي يحتكر أقوات الناس؛ ليرتفع السعر فيبيع بالغالي فيكثر ماله، فالأول عمله في إصلاح نعال الخلق بكسب حلال في العاجل، وكرامة في الآجل إن شاء الله، أما الثاني فعمله في أقوات الخلق بكسب حرام في العاجل ومهانة في الآجل، فالأول أكرم عند الله تعالى لطيب مطعمه، وحل مكسبه، ونبل غايته.

ومن علماء الإسلام من امتهن تلك المهن وسوف نعرف منزلة العمل في الإسلام من خلال علاج الإسلام للبطالة كي يرفع هذا الوصف غير الحضاري، الذي يُزدرى به الإنسان لمهنة يمتهنها؛ فكم عالم من علماء الإسلام قد اتخذ حرفة في يده، فرحم الله الخصَّاف، وابن حجر، وابن حامد الورَّاق [1]، بل رحم الله أصحاب النبي ﷺ فكان منهم التاجر، والزارع، والصانع حتى نعرف ضرورة الحرف المهنية في المجتمع الإسلامي التي ضيقها كثير من شباب الأمة [2]، من أجل أعمال الترفيه والألعاب التكنولوجية الحديثة في الكمبيوتر والمحمول، وبعد فهذه أسباب البطالة الاقتصادية والأخلاقية بها تظهر هذه المشكلة وخطورتها على البلاد والعباد.

---

(١) ابن حامد الوراق (٤٠٣هـ- ١٠١٢ م) هو الحسن بن حامد بن علي بن حامد الوراق، عرف بالوراق لأنه كان ينسخ الكتب ويتكسب بهذه الحرفة، وكان شيخًا ورعًا عفيفًا مقدمًا عند السلطان والعامة، وكان مدرس الحنابلة وفقيههم ومفتيهم في عصره شيخ المذهب الحنبلي، الموسوعة العربية العالمية.

(٢) «ماذا حدث للمصريين؟» دكتور جلال أمين ص ٥١، ولقد رصد في الكتاب بدء انحسار ظاهرة احتكار الشباب للعمل اليدوي، وذلك مع ارتفاع أجور الحرفيين، ولكن مازال الكثير ينظر للعمل اليدوي نظرة تخالف صحيح العقل، ومعالجة العرف الفاسد لهؤلاء يكون بتصحيح النظر في الدين فنراه أشاد بالعمل والاكتساب.

المبحث الثالث

أنواع البطالة

المطلب الأول: أساس التصنيف:

إن مشكلة البطالة معقدة والسبب في ذلك كثرة أنواعها واختلاف صورها، يقول أهل التخصص: «بينما يستخدم بعض الباحثين لفظة البطالة على بعض أنواعها، يأبى آخرون ذلك، والحد الذي يفصل في ذلك يختلف باختلاف التعريفات القومية لكن الدأب المألوف بين الباحثين هو قصر البطالة على التعطل اللاختيارى «الإجباري» العائد إلى نقص العمل»[1].

إن للبطالة أنواعًا متعددة قد تختلف أسماؤها، مع اتحاد معناها، والسبب في ذلك تعدد أنظار الدارسين لهذه المشكلة، وتعدد مناهجهم في معالجتها، فقد ذكر أحد الباحثين ملاحظتين حول تصنيف البطالة، فقال: «إن تصنيف البطالة إلى أنواع يساعد في البحث ويلاحظ فيه – غالبًا – قيام تصنيف البطالة إلى أنواع على أساس: «١- أسبابها، ٢- مدتها، ٣- طبيعتها وتكوينها » ويلاحظ فيه أيضا أن أنواع البطالة متداخلة مع بعضها البعض بسبب اختلاف الزاوية التي ينظر منها» [2]، وإن لي ملاحظتان جديرتان بالتأمل لمعرفة طبيعة هذه المشكلة عند تصنيف مشكلة البطالة إلى أنواع.

فالملاحظة الأولى: اعتبار تصنيف مشكلة البطالة يقوم على أساس من أسباب البطالة وغالب أسبابها يعود إلى أسباب اقتصاديه وسوء التخطيط، لذلك تبدو مشكلة البطالة لأول وهلة مشكلة اقتصادية حيث تعطل الإنسان – وهو أحد عناصر الإنتاج الرئيسية – عن العمل مع رغبته فيه وقدرته عليه، ولكن لها أسباب أخرى أخلاقية.

---

(١) «العمال والتنمية الاقتصادية»، إعداد مكتب العمل الدولي، ترجمة جمال البنا، الدار القومية للطباعة، ص ٢٣.

(٢) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٢٧.

أما الملاحظة الثانية قيام التصنيف للبطالة على أساس مدة البطالة الزمنية، فأرى أن الغرض من ذلك بيان الآثار المترتبة على بطالة الفرد إن طالت مدتها أو قصرت، وسوف نتعرف على ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى، أو أن الغرض من هذا الأساس الزمني يفيد في معرفة من يستحق تعويضًا عن البطالة «تأمين البطالة» [1]، فإن هذا التعويض وإن كانت فائدته واضحة لكن الأجدى معرفة كيف نتوسع في مجالات العمل لخلق المزيد من فرص العمل للشباب المتعطلين؟! فإدارات التشغيل في الحكومات أقيمت لغرض التشغيل لا للتأمين ضد البطالة، فلابد أن يكون التأمين ضد البطالة خلال فترة تعليم حرفة يحترفها المتعطل، تقول دكتورة سامية خضر: «في تعريف البطالة كان القيد الزمني هو انعدام العمل خلال الأسبوع المرجعي» [2]، وهذا القيد لا يصلح لتصنيف البطالة؛ لأن هناك من يعملون ولكنهم في حكم المتعطلين كأصحاب البطالة المستترة.

وبناءً على هذا الأساس، فإن أسباب البطالة ومدتها غير دقيقين لتصنيف البطالة إلى أنواع على أساس منها، وبقى تصنيف البطالة إلى أنواع على أساس من طبيعتها وتكوينها، لذلك من المفيد أن نستمع إلى أهل الاختصاص لنرى كيف رأوا تكوين البطالة وطبيعتها؟ فالله تعالى يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]. وسوف أتناول فيما يلي تعريف كل نوع من أنواع البطالة وفقا لطبيعتها كما بين أهل الاختصاص، مع بيان أوجه علاج كل نوع منها وذلك في المطالب التالية.

ليس من نافلة القول أن يسأل علماء الدعوة الإسلامية أهل الذكر في أمر متخصص كمشكلة البطالة، بل يرى الباحث ضرورة ذلك لوضع تصور صحيح للمشكلة بغية وضع العلاج المتوازن مع حجم المشكلة، وقد بين أهل الاختصاص أن: «البطالة تتخذ عدة أشكال أهمها ثلاثة أشكال هي:

---

(١) «قانون التأمين الاجتماعي المصري» الصادر بالقانون رقم ٧٩ سنة ١٩٧٥المادة رقم ٩٣، ونصها (يستحق المتعطل تعويض البطالة ابتداء من اليوم الثامن لتاريخ انتهاء عقد العمل) أي بداية البطالة.

(٢) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٢.

١ - البطالة الاضطرارية: وتتمثل بالشكل الواضح لفائض العرض في سوق العمل مقارنًا بالطلب عليه أي زيادة المعروض من العمال مع قلة الطلب عليهم.

٢ - البطالة المستترة.

٣- البطالة الاختيارية [١]، وسوف يكون التصنيف لمشكلة البطالة وفق ذلك التقسيم الذي اتفق عليه كثير من علماء الاقتصاد والاجتماع.

المطلب الثاني: البطالة الاضطرارية:

وتتضح البطالة الاضطرارية فيما يلي:

١ - تعدد أسماء البطالة الاضطرارية:

إن البطالة الاضطرارية قد تسمى بالإجبارية والظاهرة والمعنى بينهما واحد لذلك قيل في تعريف البطالة الإجبارية أنها: «الحالة التي يكون فيها عدد الراغبين في العمل في ظل مستويات الأجور النقدية السائدة أكبر من عدد العمال المطلوبين في العمل» [٢]، والبطالة الظاهرة «السافرة» هي التي يسجلها التعداد العام، سميت إجبارية لأن الفرد يجبر على البطالة بلا إرادة له ولا اختيار، وسميت ظاهرة لأنها ظاهرة العدد والآثار، وهى معاناة وقع فيها عدد كبير من بلدان العالم أجمع وهى أخطر أنواع البطالة لأنها ذات آثار سلبية على الفرد والمجتمع والاقتصاد والأمن والسلام الاجتماعي.

(٢) طبيعة البطالة الاضطرارية:

طبيعة هذه البطالة ظاهرة في عددها وآثارها، وكونها إجبارية الأمر الذي جعل البعض يصفها بأنها تماثل الكوارث الطبيعية التي لا مفر منها، ولكن الإجبار هنا من صنع أيدينا نحن وأمر توهمناه؛ لذلك لا نرى أن تسمى هذه البطالة بالإجبارية لأن الإجبار هنا وهم صنعه الإنسان بيديه، فالله ﷻ قال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(١) «البطالة في مصر» دكتورة سلوى سليمان ص٢ وبعدها بتصرف.

(٢) «البطالة في مصر» دكتورة عالية عبد المنعم ص ١٢٠.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. وإن كان الوصف بالإجبارية يقابله وصف آخر «بطالة اختيارية» سوف تأتى في التصنيف فالإنسان المتعطل بناءًا على ذلك مضطر؛ لأنه راغب في العمل وقادر عليه ولم يجده.

والإنسان المتعطل بناءً على اعتباره بطالة ظاهرة «هو شخص ينتمي إلى القوة البشرية، وراغب في العمل ومستعد له لكنه لم يمارس أي نشاط عملي على الأقل خلال الأسبوع المرجعي» [١]، والأسبوع المرجعي الفترة والمدة التي إذا تعطل الفرد فيها عن العمل، فاتفقت كلمة المتخصصين عليها.

إن الحكومات لما كانت ملتزمة بتوفير فرص العمل لأبنائها وشبابها الخريجين خفف ذلك من حدة البطالة الظاهرة قديمًا، كما أدى عجزها عن تنفيذ هذا الالتزام إلى تزايد مشكلة البطالة، «فعندما عجزت الحكومات عن استيعاب كل العمالة ظهرت البطالة السافرة» [٢].

إن كلمة بطالة إذا أرسلت وأطلقت – من غير قيد – تبادر للذهن هذا الشباب المتعطل عن العمل، الذي لم يجد ما يسد به حاجاته الأساسية من الأعمال مع رغبته في العمل وقدرته عليه، فهؤلاء هم بطالة اضطرارية؛ فقد يصح أن تسمى أيضا بطالة المضطر أو البطالة الإجبارية، حيث لا حيلة للفرد في إيجاد العمل مع رغبته، فاضطر إلى البطالة ومن هنا يتحتم البحث عن علاج لها.

إن البطالة الظاهرة يظهر عددها إذا سجل المتعطلون أنفسهم في مكاتب العمل، أو الإدارات القائمة على ذلك، لذلك أصبحت هذه البطالة مسجلة ومعروفة العدد، ومدى تحقق تطابقها مع الواقع يتوقف على مدى تسجيل المتعطلين، يقول الدكتور عاطف عبد الفتاح: «في الدول المتقدمة التي تكفل للمتعطل المسجل إعانة بطالة فإن أرقام البطالة الظاهرة والمسجلة تكون متقاربة وتؤخذ أرقام البطالة المسجلة كمقياس للبطالة في القطر، ولكن في الدول النامية حيث لا توجد إعانات بطالة، مع ضعف كفاءة مكاتب العمل وغياب

---

(١) « البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٢ .

(٢) «المرجع السابق» ص٢٤، « البطالة في مصر» دكتور محمد البنا ص ٤٥٠.

دورها في الريف والقرى الصغيرة، فإن المتعطلين لا يشعرون بأهمية التسجيل، وأرقام البطالة المسجلة تقل كثيرًا عن حقيقة البطالة، على هذا الأساس ينظر إلى أرقام البطالة المسجلة كمجرد مؤشر للتغيرات «أي زيادة أو نقص في البطالة» [1].

(٢) ضرورة علاج هذه البطالة:

إن الإسلام الحنيف ينظر إلى هذه البطالة الاضطرارية نظرة موضوعية؛ إذ يجعل العمل حقًّا من حقوق الكائن البشرى، وبناءً على ذلك فالبحث عن طرق وسائل علاج بطالة الفرد القادر على العمل وراغب فيه ولم يجده، أمر ضروري في الإسلام.

وضرورة العلاج لهذه البطالة مسئولية كل فرد يعيش في مجتمع المسلمين بداية من الفرد المتعطل نفسه وحتى ولاة الأمور، مرورًا بالعلماء وأهل الاقتصاد والاجتماع، لأن الكسب في الإسلام ضرورة حياة، وسنة من سنن الله في الاجتماع البشري، ومطلب مُلِحٌّ في فطرة الإنسان، من أجل هذا كان الكسب حقًّا من حقوق الإنسان، فإنّ «لكل فرد الحق في العمل والراحة وقد كفل الإسلام لجميع أفراد الناس الحق في أن يسعوا في تحصيل الرزق، مادام هذا التحصيل بالوسائل المشروعة التي لا تنافى قواعد الأخلاق، والمُثُل العليا التي أرستها شريعة الإسلام: وقد أعطى الإسلام لكل فرد الحق في الراحة بعد عمله، ولا يجوز لأي سلطة أن تمنعه من حقه في هذين الأمرين» [2]، وإغفال ذلك الجانب من الخطورة بمكان وتنصل من المسئولية، لذلك أرى عدم جدوى قول من قال: «يمكن اعتبار حق العمل ضمن العقبات التي تحول دون حرية آليات السوق» [3]، فإن في هذا القول فيه إغفال عن هذا الحق الإنساني في العمل المناسب له، الذي كفله الشرع الحنيف للإنسان ولذلك قال الحق سبحانه: ﴿ فَإِذَا

---

(١) «البطالة في العالم العربي» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٣٠.

(٢) «الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام» دكتور محمد رأفت عثمان ص ٥٥، «حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام» أسامة الألفي ص٩٧، «حقوق الإنسان في الإسلام» دكتور على عبد الواحد وافى ص ١٥.

(٣) «البطالة في مصر» دكتورة سعاد كامل رزق ص ٢٩٦.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠] . إشارة قرآنية إلى أن الأرض فيها ما يكفي الإنسان من عمل يقتات منه رزقه، ويبتغي فيه الأجر مع وجود العديد من الآيات القرآنية التي حثت المسلم على العمل وأمرته بالسعي والسير في الأرض ليبتغي من فضل الله تعالى، ومن كل ذلك تدرك ضرورة علاج هذه البطالة الاضطرارية.

المطلب الثالث: البطالة المستترة (المقنعة)

(١) وصف طبيعة البطالة المستترة:

يطلق على أحد أنواع البطالة مصطلح البطالة المستترة؛ لأنها بطبيعتها غير ظاهرة، قال أحد المتخصصين: «البطالة المستترة تحدث عندما يكون عدد الأيدي العاملة أو حجم العمل -كعنصر إنتاج متغير - في ازدياد مستمر، بينما عناصر الإنتاج الأخرى كرأس المال أو الأرض ثابتة، وبالتالي يتفاعل عنصر العمل المتزايد، مع كميات أقل من العناصر الثابتة، ونتيجة لانخفاض نصيبه من العناصر الثابتة يتناقص الناتج الحدي حتى يصبح صفرًا، وربما سالبًا، ويحدث هذا أحيانًا في القطاع العام خاصة عِندما تلتزم الحكومات بتوظيف الخريجين في مكان ما بدرجة كبيرة حتى يفيض العدد المعيّن عن حاجة العمل وينخفض الناتج الحدي جدًّا فتحدث بطالة مستترة» [(١)]، وهذا التوصيف للبطالة المستترة من الأهمية بمكان لمعرفة علاجها.

وتسمى «مستترة» لأن الشخص يحصل على أجر ويعمل ظاهريًّا، ولكنه لا ينتج شيئًا حقيقيًّا في واقع الأمر، وتسمى «مقنعة» في مقابل البطالة السافرة، والفرق بينهما واضح ويصعب التعرف على هذا النوع من البطالة المقنعة كما يصعب قياسها.

ومن ناحية أخرى يشير أحد علماء الاجتماع إلى أن: «البطالة المستترة تعنى ارتفاع معدلات العمالة مع عدم وجود ارتفاع مماثل في معدلات الإنتاج، وهو ما يكون في قطاع الخدمات أو القطاع الزراعي» [(٢)]، وأشار البعض إلى وصف هذه البطالة بالمعنوية فاعتبر أنها:

---

(١) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٢٩.

(٢) «الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب» دكتور محمد رفعت قاسم ص ٢١١.

«تتمثل في أن يعمل العامل ولا يعمل في نفس الوقت، ويؤدى ذلك إلى تأخير الدورة الإنتاجية أو إلى ضعف الخدمة المقدمة أو هي أن يعمل الشخص العمل دون مستوى مؤهلاته»[1].

ولا يخفى أن الإنسان إن أحبَّ العمل الذي يزاوله ينتج فيه ويطوره، بينما إذا كره العامل العمل الذي يزاوله أدى إلى إضعاف عملية الإنتاج، وهذا النوع من البطالة «بطالة مستترة» قد يكون بسبب راجع لخاصة الفرد المتعطل نفسه، ومدى رضاه بما هو فيه، مع بذل الجهد في تعديل أوضاعه وظروفه، والسعي في سبيل تحقيق الذات فيما ينفع الفرد والمجتمع وفى كل ذلك علاج له.

ولما كان من الصعب معرفة أعداد البطالة المستترة؛ فلا توجد إحصاءات تبين حجم البطالة المستترة اللهم إلا اجتهادات لبعض الدارسين؛ ففي إحدى الدراسات: «قد قدرت نسبة البطالة المستترة في الريف المصري بما يتراوح بين «٢٠٪، ٣٠٪» من العمالة الزراعية، وفى دراسة أخرى قدرت البطالة المستترة في الزراعة بنحو ٣٨٪ من إجمالي القوة العاملة في الزراعة سنة ١٩٧٠ م»[2].

والبطالة المستترة مشكلة تقع فيها العديد من دول العالم، وقد ذكرت إحصاءات تقريبية لها في مختلف بلدان العالم ترجع إلى أن الشخص يرغب في أن يعمل ساعات عمل أكثر رغبة منه في زيادة الدخل، حيث يكون قادرًا على العمل لذلك قيل: «لحصر البطالة الجزئية يكون من الضروري معرفة كم ساعة تؤدى بالفعل؟»[3]، على أية حال فتعريف البطالة المستترة مازال غير محدد وفيه تداخل كبير بين عدة أشكال للبطالة، مثل البطالة المعنوية، والمضمَرة، والكامنة وهذا خارج عن الإطار البحث الموضوعي عن علاج لمشكلة البطالة، يسعى البحث إلى بيان معالمه لأمر متخصص.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٤.

(٢) «البطالة في مصر» سميحة السيد فوزي ص ١٠٥٣.

(٣) «العمالة والتنمية الاقتصادية» ترجمة: جمال البنا ص ٣٧.

٢- دور الحكومات في علاج البطالة المقنعة:

إن علاج هذه البطالة المقنعة يرجع إلى إشراف الحكومات، ورقابتها الخاصة على العاملين بها، ذلك لأن مسئولية الرقابة واجبة على الحكومات فقد قام النبي ﷺ بهذا الدور فراقب العمال، والأسواق، ويتحقق ذلك من خلال ولاية الحسبة في الإسلام أو ما يسمى بالأجهزة الرقابية في الدولة [١]

إن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى الاستفادة بقوة الأيدي العاملة الفعلية «الواقعية» ليكثر الإنتاج ويعم الخير، لا التظاهر بالعمل، مع ترك التفاعل الإيجابي فيه، فالله تعالى يقول: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]. فكم عتب القرآن الكريم على هؤلاء المتظاهرين بالعمل وهم في الواقع خاملين ثم يدعون بقية أفراد الأمة العاملين إلى ترك العمل؟! يقولون لإخوانهم هلم إلينا؛ فالمتعطل حينئذ ضال مضل، فهو داع إلى البطالة؛ فيجب على الحكومات أن تقتلع أمثال هؤلاء الأشخاص حتى لا يستفحل ضررهم، كما يجب عليها أن تتوسع في الأنشطة العملية الجادة وتكف عن التوظيف المكتبي الذي بات أمثل صورة للبطالة المقنعة.

(٣) دور الفرد في علاج البطالة المستترة

إن الإسلام ينظر لهذه البطالة المستترة على أنها معصية، ووجه المعصية فيها أن المتعطل يتقاضى الأجر دون أن يقدم العمل المطلوب منه، وأنه لم ينجز عمله، بل يؤجل ويباطل، وهذا باطل وحرام نهانا عنه ديننا الحنيف؛ فهو من المنكر الذي أمرنا الشرع أن ننهى عنه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»** [٢]، وهذا منكر يجب الإنكار عليه، فالعامل الذي يباطل في إتمام العمل ظالم، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٤].

---

(١) «الحسبة ودور الفرد فيها في ظل التطبيقات القانونية المعاصرة» دكتور عبد الله مبروك النجار هدية مجلة الأزهر عدد شهر ذي الحجة سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير،١/ ٧٥ من حديث عائشة في شعب الإيمان للبيهقي.

لقد أوضح الشرع الحنيف ما للعامل في الإسلام من حقوق وما عليه من واجبات، وأوجب على العامل أن ينجز كل ما يجب عليه حتى يطالب بكل ما يجب له «ومن واجبات العمال: الأمانة، الإتقان، الوفاء بالعقود، الحساب والجزاء، والحفاظ على أسرار العمل وأدواته وآلاته»[1].

وفى الأخلاق الإسلامية ما يحمي المسلم من الوقوع في مثل البطالة المستترة من الأخلاق الذميمة التي نهى الإسلام المسلمين عنها لكونها تساعد في انتشار البطالة مثل الكسل والعجز والتواكل وغيرها، كما في الإسلام حث على أخلاق تعين على مواجهة الحياة وما فيها من صعوبات، مثل الصبر والتوكل وإتقان العمل.

المطلب الرابع: (البطالة الاختيارية)

(١) طبيعة هذه البطالة:

البطالة الاختيارية للفرد وتكون عندما يختار الشخص الفراغ والقعود بدلًا من العمل والاكتساب، وتلك البطالة ذات سبب واضح في تأخر الأمم؛ فكلَّما كثُر عدد القاعدين باختيارهم في المجتمع كلَّما تراجعت الأمة وتدهورت، قال أهل الاختصاص: «تظهر هذه البطالة فيما إذا حقق الفرد مستوى من الدخل البسيط الذي يكفى لإشباع حاجاته البسيطة، بحيث يصبح العزوف عن العمل أفضل لديه من بذل المزيد من الجهد، كما تظهر فيما لو وجد الفرد أبواب العمل مفتوحة ميسرة لكن لا يعمل تكاسلا ورضا بالقعود مع قدرته على العمل، لذلك صحّ أن يطلق على هذه البطالة اسم بطالة الكسول»[2]، ومن الواضح من تلك البطالة أن السبب الرئيسي فيها هو الفرد نفسه الذي رضي لنفسه البطالة على العمل والاكتساب، مع أن العمل قد يكون واجبًا عليه وجوبًا عينيًّا.

---

(١) «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي على النجار ص ٣٨، « العمل والإنتاج من المنظور الإسلامي» منصور الرفاعي عبيد ص ٤٢.

(٢) «البطالة في مصر» دكتورة سلوى سليمان، ص٣.

ومن المعلوم لدى علماء الاقتصاد أن البطالة الاختيارية لا تدخل تحت الإحصاء، فلا نعرف عدد القاعدين عن العمل باختيارهم، بيد أننا ندرك أثر ذلك في كل أرض سوداء تصلح للزراعة ولم تزرع، وفى كل مال مكنوز غير متداول بين الناس في استثمارات اقتصادية، وفى كل مورد من موارد الكون يحتاج إلى الأيدي العاملة التي تستغل هذه الموارد حتى تخرج ما ينفع الناس، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[الرعد:١٧].

(٢) أوجه علاج هذه البطالة:

ومن السهل علاج هذه البطالة الاختيارية من خلال الفهم الحقيقي لموقف الإسلام من الحياة الدنيا، ومنزلة الإنسان فيها، ذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن القرآن يحثنا على ألا ينسى الإنسان نصيبه من الدنيا يقول ربنا ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢]. ولا غرابة في ذلك لأن الإنسان قد استخلفه الله في الأرض ليعمرها بالسعي لا بالقعود.

ثانيًا: لقد نهى الشرع الحنيف عن القعود والكسل، بل وجعل جزاء كل إنسان في مقابل ما قدم من عمل، فقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧،٨]. وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٨٦]. وقد نفى القرآن الكريم تلك المساواة المظنونة بين القاعدين عن الجهاد في سبيل الله، غير أولى الضرر، وبين المجاهدين في سبيله سبحانه فقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥]. ومن هنا يعلم من اختار لنفسه البطالة أنه آثم من الوجهة الدينية.

ثالثًا: الإسلام يبيح لولى الأمر أن يعاقب الكسالى ومن اختار القعود بما يراه من أنواع العقاب إذا امتنعوا عن العمل بعد – إن توافر لهم وأحجموا عنه – فقد جاء شباب إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه الحاجة والفاقة والفقر، ويطلبون منه أن يعطيهم شيئا من المال، لكنه ﷺ ما كان يعطيهم شيئا من المال، بل لم يجبهم إلى طلبهم وكان يرشدهم إلى الطريق الصحيح في حل مشكلاتهم، حيث دعاهم إلى العمل جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى**»[1] ؛ فالمتعطل بإرادته عاص في الإسلام حيث لم يستثمر قواه في الحياة لإشباع حاجاته الأساسية التي هي فطرة الإنسان التي خلقه الله عليها.

رابعًا: إن الإسلام فيه من التدابير الواقية من جميع أنواع البطالة ما إذا عرفها المسلمون خرجوا مما هم فيه من بطالة دون أن يشعروا، وفي هذا المعنى قال أحد دعاة الإسلام النابهين الشيخ محمد الغزالي في من اختار البطالة على العمل، متسائلًا: «ما سر هذا الفتور الشائع في الأفراد والجماعات؟! ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم صدود عن مواجهتها؟! بينما نرى الأجناس الأخرى تنطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة، إن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة قد وقعت بنا في أوائل الطريق على حين مضى الآخرون خفافا يكدحون حتى وصلوا إلى حظوظ من الرقى والإبداع تستثير الذهن: وإن التأخر والجمود لا يجد أوعية أفضل من تلك الطاقات المعطلة، والمواهب المطموسة فإن أمتنا تحتاج إلى أن تجيد فن الحياة؛ فهذا – والله – هو العجز الذي استعاذ منه رسولنا الأكرم ﷺ، إن المصلحين في بلادنا يقفون وجهًا لوجه أمام الطاقة الإنسانية التي لم تتفجر بعد، أما الجماهير الكثيفة التي لم تحسن الاستفادة مما بين يديها، وما خلفها من طاقات مادية وطبيعية فهؤلاء تحسبهم أيقاظًا وهم رقود»[2].

---

(١) رواه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة؟ ٢/ ١٢١، رقم ١٦٣٤، وسنن أبي داود من مظان الحديث الحسن، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، ابن تيمية، تحقيق صلاح علام ص ٣٠.
والغني: صاحب المال الكثير، والمِرَّة: القوة، والسَّويُّ: سليم الأعضاء.

(٢) «الإسلام والطاقات المعطلة» الشيخ محمد الغزالي ص ٦٧.

إن هذا الكلام قد مضى عليه قرابة الخمسين عامًا؛ إذ كانت المشكلة في بداية ظهورها؛ فكيف حال الأمة الآن،وبعد مرور هذه السنوات؟! إن الحال أصعب وأحوج إلى مضاعفة الجهد، والبحث عن مجالات العمل وإجادة فن الحياة بصدق وإخلاص، وإن مراد الشيخ محمد الغزالي من إجادة فن الحياة: أي اعتبار بذل الجهد في الاكتساب من الأمور التي تحتاج إلى إتقان وتجويد، واعتبار الحياة في مكاسبها مجال تأنق وإبداع حتى يسهل صعبها.

المبحث الرابع

آثار البطالة من منظور إسلامي

مدخل:

من الضروري أن يتعرف الباحث على آراء الدارسين لهذه المشكلة، فقد أشار بعض الباحثين إلى أثر للبطالة فقال ناقلًا عن أحد الغربيين: «إن ظروف البطالة تؤثر تأثيرًا حسنًا في تماسك الأسرة ووحدتها، ويفسر ذلك بقوله: إنه عندما يقلُّ المال لدى الأسرة، فلا تجد ما تنفقه على جوانب الترفيه، وبالتالي لا تخرج الأسرة من المنزل، ويقيم الوالدان داخل المنزل لفترات طويلة، يطبقان الوسائل الإشرافية، وطرق التحكم والضبط، بجانب زيادة توثيق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، وبذلك تبدو آثار ضبط الجماعة الأولية أكثر فاعلية في نفوس الصغار داخل الأسرة»[1].

إن من نظر إلى هذا الأثر المدعى، الذي ذكره الباحث للبطالة نقلًا عن أحد علماء الاجتماع الغربيين، قد يصدق في مجتمع دون آخر، فقد يصلح هذا في المجتمع الغربي، الذي نادرًا ما تلتئم أفراد الأسرة فيه، في نسيج واحد وقد لا يصلح، أما في المجتمع المسلم فإن مجرى الانضباط داخل الأسرة قد رسمه الشرع الحنيف، من خلال أحكام الأسرة دون أن يرتبط ببطالة رب الأسرة أو عمله.

ذلك لأن التحكم والضبط الأسرى واجب على الرجل الذي حمله الله تعالى مسئولية القوامة سواء كان عاملًا أو متعطلًا، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]. وفى الحديث النبوي الشريف أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته»**[2]، ففي الإسلام يسأل

---

(١) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأحكام ٤/ ٢٣٣.

الرجل عن الإنفاق على أسرته، ويسأل عن انضباطها، فإن كان متعطلًا؛ فبالمسئولية تشتد وتتفاقم حيث تقوى الأعباء وتزداد، حيث البحث عن العمل المناسب مع الحفاظ على الانضباط في أسرته؛ فليس من الحق أن للبطالة أثرًا ايجابيًا على الأسرة وإن ثبت في بعض الأسر، فهذا خروج عن القاعدة، وخروج عن الفطرة، بل شذوذ والشاذ لا حكم له بل يطوى ولا يحكى ويحفظ ولا يقاس عليه.

آثار البطالة:

إن البطالة داء وخيم، ومرض فتاك يدع الأمة تتقلب على نارها، ويعرضها لأزمات اقتصادية، واجتماعية، وأخلاقية، ويدع الفرد المتعطل كلًا على الناس، مما يعرضه لأزمات نفسية، واضطرابات سلوكية غير محمودة العاقبة؛ إذ يبحث الفرد عن قوته من طريق طبيعي هو العمل والاكتساب فلا يجد العمل فتضطره الحاجة إلى طريق الجريمة، وقد يتجه إلى سؤال الناس، وقد يؤدى به الحال إلى حقد على المجتمع وما فيه من أغنياء وعاملين، وفى هذا من الفساد ما فيه.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات الاجتماعية أن البطالة لها آثارها على كافة المستويات، فلها آثارها من ناحية على الفرد المتعطل، وعلى المجتمع من ناحية أخرى، بل وعلى الاقتصاد من ناحية ثالثة [1]، وإذا تعددت الجهات التي تتأثر بالبطالة كمشكلة فمن المعقول أن نقسم الآثار إلى الأقسام الآتية:

١ -آثار البطالة على الفرد المتعطل.

٢ -آثار البطالة على المجتمع.

٣-آثار البطالة على الاقتصاد.

---

(٢) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٣.

وسوف يتضح ما لهذه الآثار من مضار سلبية، تستوجب ضرورة البحث عن وسائل للخروج من هذه الأزمة، حتى لا تضرب بجذورها في أعماق المجتمع فيعظم خطرها وتستعصى على العلاج في حين أن الله ﷻ قد كفل لعباده المؤمنين الحياة الكريمة المطمئنة إذا أخذوا بأسباب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. وقال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧].

المطلب الأول: (آثار البطالة على الفرد المتعطل)

إن للبطالة آثارًا سلبية على الفرد المتعطل تتضح من خلال النقاط التالية:

(١) موقف الإسلام من سلامة الإنسان:

لقد اهتم الإسلام بتحقيق سلامة الإنسان «جسمًا وروحًا» فأما سلامة الجسم الإنساني، فقد حققها الإسلام فيه قبيل عهده بالحياة، عند الخلق، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]. ولأجل الإبقاء على صحة الإنسان حرَّم الله ﷻ على الإنسان كل ما يؤذى جسمه من محرمات، في المطعم والمشرب، كما حرم الاعتداء على البدن الإنساني، أو في أي صورة من صور الاعتداء على البدن.

وأما تحقيق الإسلام سلامة الروح فيظهر ذلك من خلال اهتمام الإسلام بالجانب الوجداني والنفسي للإنسان، خاصة إذا أصابته أزمة من الأزمات، فقد أشار القرآن إلى أهمية صلة العبد بالله من خلال خشيته وتقواه فقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢]. وقال سبحانه إشارة لأهمية الصبر: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠]. وقال سبحانه إشارة إلى تربية النفس وتزكيتها فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠].

من هنا كان اهتمام الإسلام بسلامة الإنسان آية من آيات كماله، وإذا كان الإسلام قد اعتنى بالإنسان من أجل بقائه صحيحًا سليمًا، فقد اعتنى به إذا وقع في علة أو مشكلة، مثل

البطالة حيث أخبر أن الإنسان لابد أن يؤمن بالله تعالى ويشكره لما أنعم عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠]. فلا يكفر المسلم بنعم الله عليه فالكفر بنعم الله عاقبته أليمة ووخيمة قال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. إن اهتمام الإسلام بسلامة الإنسان أمر نابع من تكريم الله له، فاهتم الإسلام بتحقيق الخير في الدنيا للإنسان ليعبد ربه حتى يأتيه اليقين.

(٢) تشخيص حالة المتعطل:

لقد ضرب الله ﷻ مثلًا في القرآن، يعبر أصدق تعبير عن الآثار السلبية للبطالة على الفرد المتعطل، فقال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٦]. فإن المتدبر في هذه الآية الكريمة يرى فيها تشخيصًا لحالة المتعطل النفسية ويرى آثار البطالة على المتعطل، ومدى علاقته بالمجتمع حوله، كما يرى مظاهر المتعطل السلوكية:

فالمتعطل تشير الآية إلى أنه أولًا: «أبكم» أي لا ينجذب مع الناس في الحديث بل ينعزل عنهم، وهذا أصدق تعبير عن حالة الاغتراب عن المجتمع، كما أطلق عليه علماء النفس والاجتماع.

والمتعطل ثانيًا: «لا يقدر على شيء» أي من الأشياء التي يرغب فيها، بل يظل يتمنى الأماني دون أن يقدم عملا لتحقيق أمانيه، حتى ولو كانت قليلة ومتواضعة، إما لكسله النفسي أو الحركي، والله تعالى يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:١٢٣].

والمتعطل ثالثًا: «كَلٌّ على مولاه» بمعنى أنه ثقيل على أهله وعشيرته وهذا ما يشعر به المتعطل، والمتعطل أيضا «أينما يوجهه لآيات بخير» أي لدى المتعطل حالة من تبلُّد القوى،

وجمود الحركة وتزداد هذه الحالة كلما إذا طالت فترة البطالة، بحيث يألف القعود وتتجمد قواه ومداركه.

وبعد إن هذه الصفات التي ذكرتها الآية الكريمة تعبر عن آثار البطالة على الفرد المتعطل باختياره، وعن مدى علاقته بالمجتمع من حوله؛ فالفرد إذا عطَّل إرادته تعطلت حركته ونشاطه.

(٢) شخصية المتعطل:

لقد أجرى بعض الباحثين دراسة على عينة من المتعطلين تكاد تطابق هذه الأوصاف السابقة، الواردة بآية سورة النحل «وضرب الله مثلًا رجلين ...»، فكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي: إن البطالة تؤثر على الفرد المتعطل ذاته فقد تبين أن نسبة ٦٨٪ من المتعطلين تشعر بأنها في وضع ضعيف داخل الأسرة إما بسبب شعورهم بأنهم عالة على الغير، وإما بسبب نظرة الشفقة عليهم، ومن الطبيعي أن يؤدى ذلك إلى اهتزاز شخصية المتعطل وعدم شعوره بالمكانة والفخر أو تحقيق الذات، كما تبين أن نسبة ٩٤٪ من المتعطلين يعقدون صداقات، ولكن مع المتعطلين مثلهم [١]، أي لا يحاورون إلا أنفسهم بعضهم بعضًا.

إن الانسجام النفسي بين المتعطلين بعضهم بعضًا، فلا يكون المتعطل صديقا لمن يعمل، حيث ينعزل عن مجتمعه العام، بينما ينسجم مع جماعة المتعطلين، يقول أحد الباحثين في بيان تلك الظاهرة على المتعطلين: «من الحقائق العلمية أن البطالة تزيد من التفكك الاجتماعي فمن ناحية يميل العمال المتعطلون إلى الانعزال والانفصال عن جماعتهم الاجتماعية، ويميلون إلى مجموعات المتعطلين الذين يعانون من نفس الظروف» [٢]، وقديمًا قيل: إن الطيور على أشكالها تقع.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ٩٣.

(٢) نحن والمستقبل، دكتور مصطفى سويف ص٢٠٠ وما بعدها، "الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة" دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٢.

(٤) المظاهر الانفعالية للمتعطل:

كلما زادت فترة البطالة كلما زادت المظاهر الانفعالية لدى المتعطل حيث تزداد لديه مظاهر بينتها إحدى الدراسات الاجتماعية فيما يلي: فقدان الشجاعة والقدرة على مواجهة الحياة، والشعور باليأس، والإحباط، والشعور بالقلق، والاضطرابات العصبية، والنفسية مثل: حالات الأرق الدائم، الانهيار العصبي، وقد تصل إلى محاولة الانتحار [١]، وهذه المظاهر تدعو المجتمع ككل لأهمية سعيه في علاج هذه المشكلة.

(٥) حالة الاغتراب الاجتماعي لدى المتعطل:

هذه الفكرة استخدمها علماء النفس الاجتماعي للإشارة إلى اغتراب الفرد المتعطل عن المجتمع وطبقًا لهذا الاستخدام يمكن تفسير أحداث الشغب والعصيان والتمرد على أنها انعكاس لحالة الاغتراب عن المجتمع، وإن هذه الحالة هي إحدى الحالات النفسية التي يمر بها المتعطل، التي تظهر علاقة المتعطل بمجتمعه.

إن للبطالة آثارًا سلبية مست المجتمع والحياة العامة التي يعيشها الناس بعدما مست الفرد المتعطل ذاته لذلك قال المختصون: «حينما تنتشر البطالة تصبح مصدرًا لأخطار أمنية»[٢]، لذلك فإنه من الضروري لكل داعية، إدراك هذه الآثار الخطيرة للبطالة على المرء المتعطل، ليتمكن من تشخيص الداء تشخيصًا سليمًا، حتى يقدم الدواء الشرعي المناسب؛ فالداعية كالطبيب يشخص الداء ويضع الدواء.

المطلب الثاني: (آثار البطالة على المجتمع)

إن للبطالة آثار على المجتمع تتمثل فيما يلي:

(١) انتشار الجريمة:

أثبتت الدراسة السابقة على عينة من المتعطلين عدة نتائج تجعل الأنظار تلتفت إلى خطورة علاقة المتعطل بالمجتمع: «فقد أكدت إجابات ٧٢٪ من المتعطلين، أن الفراغ الفكري

---

(١) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٢.

(٢) دكتورة سامية خضر، البطالة بين الشباب حديثي التخرج ص ١١٠، «البطالة في العالم العربي» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٤١.

نتيجة البطالة قد يؤدى إلى الانحراف والجريمة، كما بينت نسبة ٦٣٪ منهم أن الفراغ الاجتماعي قد يدفع إلى الجريمة، وأن شعور المتعطل بأن المجتمع قد لفظه، ورفض أن يعتبره عنصرًا فعالًا عن طريق العمل، قد يستثير فيه الإحساس بأنه منبوذ، وعالة على المجتمع، كما أشارت نسبة ٢٢٪ منهم بأن البطالة تؤدى إلى البحث عن عمل غير شريف»[١].

إن المتعطل عن العمل – بطبيعة وضعه – يعانى من الفراغ، فلا يجد ما يملأ به هذا الفراغ من عمل مثمر وشغل بناء، فقد يدفعه ذلك إلى البحث عما يشغله فلا يجد إلا أصدقاء السوء الذين يجروه إلى الانحراف أو الإدمان، كما أن المتعطل قد لا يجد ما يسد به حاجاته الأساسية فتضطره الحاجة إلى السرقة، أو الاعتداء على حقوق الآخرين، ولقد أثبتت الإحصاءات أن: «جرائم السرقة قد سجلت أعلى معدل لها بين المتعطلين مما يؤكد أن اليد التي لا تعمل فهي تخرب»[٢]، وأوضح الدكتور عاطف عبد الفتاح أنه قد لا تتمشى البطالة مع الانحراف طردًا وعكسًا؛ فليس كل متعطل منحرف، ولا كل منحرف متعطل، فقال: «قد تكون بطالة الفرد دافعًا إلى الجريمة، لذلك فإن ظاهرة البطالة مشكلة فردية ومشكلة اجتماعية في نفس الوقت سواء من ناحية أسبابها أو آثارها، وبالرغم من أنه قد يكتشف ترابط معين بين البطالة والجريمة إلا أنه لا يمكن القول بأن البطالة هي السبب المباشر للجريمة وإلا صار كل متعطل مجرمًا، ولكن البطالة قد تساعد بالاشتراك مع عوامل أخرى على ارتكاب الجريمة.

وقد أشارت بعض الدراسات الاجتماعية التطبيقية إلى أن البطالة تحتوى على بذور الجريمة لأنها تتضمن العناصر الانحرافية في طبيعتها وهى:

١- عدم استقرار العلاقات الاجتماعية للمتعطل.

٢- انحلال أساليب الرقابة وموانع الجريمة الذاتية داخل نفسية المتعطل.

٣- تركيز عوامل الضياع، وعدم الاستقرار ومن ثم طغيان شعور المتعطل باليأس والإحباط.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ٩٦.

(٢) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ١١١.

٤- ابتعاد المتعطل عن المجتمع، وقيمه السائدة نتيجة شعوره بالوحدة أو العزلة أو النبذ، وهى كلها عوامل تؤدى تحت ظروف معينة إلى ارتكاب الجريمة»[١]، فهذه العناصر الانحرافية تتوافر في المتعطل حتى يشعر بأن من حقه الاعتداء على المجتمع لكي يثبت ذاته، وإذا عمل الفرد من البداية لَمَّا وصل لهذه الحالة النفسية المعادية للمجتمع.

٢-انتشار الجهل والأمية:

ومن الآثار السلبية للبطالة على المجتمع، انتشار الجهل والأمية وترك التعليم لأن بطالة الشاب الذي تخرج من الجامعة أو المعهد وقد قطع عمرًا طويلًا في التعليم ثم يصير متعطلًا عالة على أسرته، جعلت عوام الناس لا يكترثون بتعليم أبنائهم لما تعارفوا عليه من أن المؤهل هو الورقة المقدمة عند التوظيف؛ فلما وقف التوظيف لجميع الخريجين لم يكن هناك فائدة لإكمال التعليم في زعمهم فانتشر الجهل والأمية لضعف النظرة إلى التعليم.

إن شيوع ظاهرة بطالة المتعلمين جعلت هؤلاء الشباب طاقات معطلة، وبالتالي فقد «أودع في النفوس الإحساس بعدم وجود جدوى من عملية التعليم خاصة ونظرة المجتمع للتعليم على أنه وسيلة للحصول على شهادة يحصل بها صاحبها على فرصة عمل يتقاضى عليه راتبًا كل شهر» [٢]، وسوف نبين علاج بطالة المتعلمين.

٣- عرقلة التنمية:

من آثار البطالة السلبية أيضا على المجتمع، عرقلة جهود التنمية مع الإخلال بعدالة التوزيع؛ «فالتضخم الوظيفي يحتاج إلى ميزانية الدولة للوفاء بمرتبات الموظفين الذين هم في الواقع في حالة بطالة مستترة يتقاضون عليها راتبًا شهريًا، ومن شأن هذا أن يوجد لدى المتعطلين نوعًا من الحقد الاجتماعي» [٣].

---

(١) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٣٧.

(٢) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٤٢.

(٣) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٤٥.

إن البطالة تؤدى إلى العديد من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، وهى على سبيل الإيجاز مفردات دالة على عمق المشكلة، هذه المفردات قد أثبتها الواقع المعاش كما أثبتتها الدراسات الإحصائية السابقة وهذه المفردات المنبهة إلى آثار البطالة على المجتمع هي: «الانحراف، الإدمان، الجريمة، الجهل والفراغ الثقافي، الحقد الاجتماعي والاغتراب الاجتماعي وغير ذلك».

إن الله ﷻ سوف يسأل كل صاحب كلمة، أو قلم، أو عمل، لم يقدِّم به الحل لخروج المتعطلين من أزمتهم؛ فهذه مسئولية عامة يجب أن تتوافر كل الجهود لتحملها تعاونًا منهم على هذه المشكلة لتشغيل المتعطلين، قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢]. في بيان أهمية أن يجتمع الناس جميعًا على أمر جامع، يشغل الرأي العام في مجتمع المسلمين على أن تتحد الغايات والأهداف، قال ربنا جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ [النور:٦٢]. قال الإمام القرطبي: «المراد بالأمر الجامع ما للإمام من حاجة إلى جمع الناس فيه لإذاعة مصلحة فإذا كان أمر يشملهم جميعهم للتشاور في ذلك»[1].

وفي بيان أن للأمة عملًا يشملها كلها بخلاف عمل كل فرد من الأفراد في مصلحة تخصه، وأن عمل الأمة الجامع تخبر عنه يوم القيامة سواء أكان العمل خيرًا أو شرًّا، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. فلابد أن تجتمع كلمة الأمة، ويتحد صفها وتهدف للتوسع في الأعمال لتشغيل المتعطلين.

٤- ارتفاع التفاوت بين طبقات المجتمع:

ولقد بين القرآن الكريم أثر تلك الفجوة بين الطبقات وليست الطبقات هنا «أغنياء وفقراء» كما هو معروف منذ العهد السابق، ولكن الطبقات إزاء هذه المشكلة هي طبقة أصحاب الأعمال والعمال وأصحاب المهن من جهة، وطبقة المتعطلين اضطرارًا من جهة أخرى، قال الله ﷻ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٢/ ٥٩٥ المجلد السادس.

﴿عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]. فهذه الآية بينت الأثر السيئ للبطالة على المجتمع، حيث إن تعطيل البئر، وهو ما يحتاج إليه كل إنسان في المجتمع لحاجاته الضرورية الأساسية «عادة وعبادة» فإن المطعم والمشرب والصلاة سواء أكان الإنسان غنيًّا أو فقيرًا، كبيرًا كان أو صغيرًا، ذكرًا كان أو أنثى، عالما كان أو جاهلًا، وفى الوقت الذي تعطل فيه البئر عن إخراج سبب الحياة من المياه بسبب تعطيل أيدي الناس عن العمل في إخراج الماء، فالماء موجود ولكن لا توجد الأيدي التي تخرجه، وبينما تعطل البئر فقد شيد القصر المزخرف الذي لا يوجد به ساكن يسكنه.

وفى التفسير: «كم من قصر مشيد معطل من ساكنيه، مثل البئر المعطلة عن أيد تخرج منه الماء، فمعنى التعطيل في القصر؛ هو أنه معطل من أهله أو من آلاته ومنافعه أو نحو ذلك»[1]، وبذلك تظهر الآثار السلبية للبطالة على المجتمع.

المطلب الثالث: (آثار البطالة على الاقتصاد)

إن آثار البطالة على الاقتصاد تأخذ صورًا عديدة، منها ضعف الاقتصاد والذي يظهر بجلاء على الإنسان كأحد عناصر الإنتاج،فتعطل الإنسان يصيب الإنتاج الاقتصادي في أهم دعائمه ومنها قلة الاستهلاك؛ فالمتعطل إذا كان فقيرًا قلَّ استهلاكه، والاستهلاك أحد الحلقات الاقتصادية، والبطالة إذا انتشرت في مجتمع من المجتمعات فإنه يصبح مجتمعًا فقيرًا لقلة العمل فيه، بينما ينتعش الاقتصاد إذا كثرت فيه الأعمال والاستثمارات.

وآثار البطالة على الاقتصاد تظهر في أحد الأمور الآتية:

١- إهمال العنصر البشرى «تعليمًا وتدريبًا» أدى لضياع قيمته من خلال البطالة وهو أهم عنصر في الإنتاج.
٢- قلة رأس المال المتداول.
٣- انتشار الفقر بين المتعطلين.
٤- قلة الاستهلاك.

---

(١) «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» الشوكاني ٣/ ٦٢٥.

وأما تفصيل القول في علاقة البطالة بتلك الأمور الأربعة ففيما يلي:

١- ضياع قيمة العنصر البشرى:

إن الإنسان هو العنصر الفعَّال في عناصر الإنتاج الثلاث «الأرض – المال – الإنسَان» وأضاف بعضهم الوقت إليها، وتظهر أهمية العنصر البشرى من خلال أنه العنصر الفعَّال وباقي العناصر منفعلة وقابلة، فضلا على أن الإنسان من أجله أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه لهدايته؛ فإذا تعطل في الأمة فقد فقدت أهم ما لديها من عنصر بشرى.

والبطالة تَشُلُّ حركة هذا العنصر الهام للإنتاج، وقد يكون للشخص نفسه دخل في بطالته إذا لم يتدرب على المهنة، تعليمًا وتدريبًا فالاقتصاد بطبيعته يعتمد على الإنسان المعد إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهنيًّا، حتى يتحقق دوره في بناء المجتمع فإذا لم يتم هذا الإعداد والتدريب للإنسان فإن فرصة الحصول على العمل تقل بنسبة كبيرة.

ولقد راعى الإسلام الحنيف قيمة الفرد الإنساني من خلال كون التعليم والتدريب للإنسان متناسبين مع بيئة الفرد، ولقد أكثر علماء التربية قديمًا في علاقة التعليم بالبطالة من خلال تخريج متعلمين لا يجيدون أعمالا تناسب الواقع الذي يعيشون فيه، فلما كانت رعاية التعليم وملاءمته مع الواقع الذي يعيش فيه الفرد مما يساعد في علاج البطالة، وجدنا من أول ما روعي في القرآن الكريم، مناسبة تعاليمه وأحكامه للواقع الذي يعيش فيه الأفراد، فينزل في المدينة أول ما ينزل سورة المطففين، حيث يتعلم أهل المدينة حدود الكيل والميزان، لأن غالب كسبهم كان التجارة في الأسواق بيعًا وشراءً.

كما بين القرآن الكريم أهمية التدريب للفرد في تيسير الحصول على العمل المناسب له، وذلك لأن التدريب يساعد على نجاح الفرد في عمله ويضمن له استمراريته فيه ودلَّ الفرد على إتقان عمله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]. ولم يكن نص الآية «من حَسُن عمله» إنما عبر بصيغة «أفعل» للمبالغة في إتقانه العمل وذلك أثر من آثار دقة التدريب الذي اجتازه الفرد.

ولقد أثبت القرآن ذلك في نبي الله داود عليه السلام قد علمه الله ﷻ صناعة الدروع، وألان الحديد في يده، فكان يصنع منه الدروع السابغات التي ألحت حاجة أهل زمانه إلى صناعته فأقبل الناس على شرائها، وإذا داود عليه السلام يطور في مهنته [1]؛ فبعد أن كانت الدروع تصنع صفحة واحدة، جامدة تعيق حركة الجند، صنعها داود عليه السلام، حلقات متداخلة، أيسر في الحركة، وأكثر مرونة، قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

فإن أمر الله – جلَّت قدرته – نبيه داود عليه السلام، بعمل الدروع السابغات، والتقدير في السرد- وهو صناعة الدروع في حلقات متداخلة - يدل دلالة واضحة على ضرورة تدريب الفرد على كسب يتقنه، وتدريبه على حرفة يحترفها؛ إذ في ذلك تقدم الأمم ورقيها، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الأيدي المدربة التي تعلمت كيف تتقن ما في يديها؟! ونبي الله داود عليه السلام، مع أنه خليفة في الأرض، ونبي كريم لم يمنعه ذلك من تعلم حرفة، تدرب عليها حتى أتقنها، وكان يكتسب بها قوته، ولذلك لم يمر هذا النموذج القرآني على نبي الله الخاتم ﷺ حتى أخذ العبرة منه لأمته، وسجلها في ذاكرة أمته عسى أن تعي هذا النموذج، فقال ﷺ: **«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده»** [2].

وفى هذا النموذج القرآني دلالة واضحة على ضرورة التدريب القائم على أسس علمية سليمة، حيث العلم النظري لا تظهر ثمرته إلا بتنفيذه وتطبيقه لأن الاستفادة لا تكون إلا من خلال كثرة تدريب الفرد الإنساني على العمل الذي سوف يمارسه، فإن العمل في المجال الصناعي لا يقوم إلا على الكوادر العلمية، والعمالة المدربة، والموارد الطبيعية، وهذا ما توفر في النموذج الذي دلنا عليه كتاب ربنا في شخص نبي الله داود عليه السلام.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: لابن كثير ٢ / ٥٣٧، « قصص الأنبياء» ابن كثير ص ٤١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل بيده ٢/ ٦.

ولقد أشارت الدراسات إلى الأثر السلبي للبطالة؛ فبيَّنت أن المتعطلين يتحولون إلى طاقات غير فعالة «في حالة البطالة السافرة» وبالتالي يعدون عبئًا إضافيًّا على الاقتصاد؛ إذ يتحمل النفقات الاستهلاكية لهؤلاء المتعطلين دون أن يقدموا العمل، والإنتاج المرجو من الإنسان الطبيعي، والمشكلة تكمن في زيادة الاستهلاك في مقابل الإنتاج.

إن قلة الكفاءات الفنية المدربة التي يحتاجها الاقتصاد في المشروعات نتيجة عدم الاهتمام بالتعليم الفني والمهني، مع حاجة الاقتصاد الماسة لهذه الكفاءات المدربة فتلجأ للحصول عليها من الخارج ويتحقق هنا ضرر مزدوج، يتمثل من ناحية عدم وجود الكفاءات المدربة ذات الأجر المناسب، ومن ناحية أخرى ضرورة توفير الأجور العالية للعمالة المستوردة من الخارج.

أهمية التدريب قبل العمل:

إن التدريب على العمل الذي يكلف به الإنسان قبل أن يمارسه سنة من سنن الله تعالى في إرسال رسله الكرام. فهذا آدم عليه السلام، دربه الله ﷻ، في الجنة على أمر التكليف وافعل ولا تفعل، حيث أمره أن يأكل من الجنة هو وزوجه، ولكن لا يقرب شجرة معينة، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥]. وهذا يدل دلالة واضحة على أن التدريب قبل الممارسة سنة من سنن الله في خلقه، يصلح بها شئون العباد، فيصيبهم التوفيق، ويستفيد منها المتعطل في اختيار كسبه المناسب الذي تدرب عليه وأتقنه.

٢- قلة رأس المال المتداول:

إن من آثار البطالة على الاقتصاد قلة رأس المال المتداول ويظهر ذلك بما سبق بيانه في أسباب البطالة من إسراف في النفقات في أمور الرفاهية، وأيضا البخل والأثرة حيث يمنع صاحب المال ماله من أن يستثمر في مشروعات تفتح فرص عمل للمتعطلين، وكلا من السببين يمنعان الأموال من التداول في الاقتصاد والإنتاج والاستثمار مما يؤدى بالاقتصاد إلى حالة من الركود أو الكساد، وهو ما يعانى منه دول العالم ثم يؤثر بالسلب على عملية التشغيل فتنحصر في حدود ضيقة.

قال أحد الباحثين: «إن العجيب أن الأموال كثيرة ولكنها في خزائن الكانزين والناس بحاجة إلى السلع، ولكنهم لا يشترونها لعدم وجود المال «الوسيط» بين أيديهم، والعمال بحاجة إلى العمل، ولكن المصانع تمتنع عن تشغيلهم لحاجتها إلى مال الأجور من جانب، وإلى صعوبة تصريف وتسويق بضاعتها من جانب آخر» [1]، فالإسلام ينظر إلى المال على أنه ملك لله - سبحانه - وحده والناس مستخلفون فيه، وليس ملكًا خاصًا ينفقه دون الآخرين، يقول الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]. ويقول الله ﷻ: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وأما قلة المال المتداول فيعد أحد الآثار السلبية للبطالة على الاقتصاد، حيث يقل المال الذي هو أحد عناصر الإنتاج، لذلك كانت نظرة الإسلام إلى المال نظرة واقعية.

٣- انتشار الفقر بين المتعطلين:

إن انتشار الفقر بين المتعطلين أحد آثار البطالة الاقتصادية، فالعلاقة بين الفقر والبطالة علاقة مباشرة؛ فالإنسان يعمل ويكتسب من أجل الحصول على المال الذي يوفر به حاجات الحياة «مطعم، مشرب، ملبس، مأوى» فإن تعطل عن العمل وتوقف فمن أين يحصل على المال الذي هو وسيط نقدي للحصول على الضروريات المعيشية؟؟ فالعلاقة بين البطالة والفقر من أوضح ما تكون، وإن كان إمكانية الحصول على المال من طريق آخر غير العمل، كالميراث والهبات والأوقاف لكن هذه أمور تعتبر طارئة، ويبقى العمل هو السبب الإنساني الأساسي في اكتساب المال.

إذن المتعطل فقير، وكلما كثر المتعطلون في المجتمع كلما كثر الفقر مما يؤدى إلى انحرافات عديدة بسبب الفقر والجوع وشدة الحاجة مثل: السرقة، والاعتداء على مال الغير بجميع صوره، وسؤال الناس.

---

(١) «بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة» دكتور ماجد أبو رخية ص٦٢٢.

ولقد أجريت دراسة اجتماعية على عينة من الأسر قد وقع عائلها في البطالة، فتبين أن هذه الأسر: «إذا تعطل عائلها عن العمل تهبط إلى طبقة دنيا، كما تبين أن هذه الأسر – في حالات كثيرة – كانت تضطر إلى مغادرة مناطق سكنها الأصلي إلى الأحياء قليلة النفقة والفقيرة، كما تضطر إلى إخراج أبنائها من مراحل التعليم المختلفة لعجزها عن الإنفاق عليهم، كما تضطر إلى إلحاق أبنائهم ببعض المهن الحرفية البسيطة»[1]، يزداد خطر الفقر إذا كان المتعطل «عائلًا» فإنه يقلل من قيمة المسكن حتى يتخفف من بعض الأعباء، وقد يؤدى به الحال إلى الانحراف من أجل الحصول على قوت عياله، والله ﷻ لفت الأنظار لذلك فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى:٨]. لنعرف ضرورة عون الفرد المتعطل خاصة إذا كان عائلًا لأسرة.

وأما إن كان المتعطل «غير عائل» فإنه يشعر بكونه عبئًا على من ينفق عليه حتى ولو كان والدًا للمتعطل فإنه يصير «كَلًّا على مولاه» فلابد وأن تسعى جميع الجهود، لرفع إصر البطالة التي تخلق حالة من الفقر؛ فالبطالة ترتبط عادة بانخفاض حاد وغير متوقع في دخل الفرد، مما يجعل الفرد فقيرًا سواءً أكان فقيرًا مطلقًا، بمعنى عدم قدرته على الحصول على ضروريات الحياة، أو فقرًا نسبيًّا، أي بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه»[2]، إن فقر المتعطل كثيرًا ما يؤدى إلى تقليل الاستهلاك، والانحراف وكفى ذلك لنتعرف على آثار البطالة السيئة على اقتصاد الأمم.

٤- قلة الاستهلاك:

عرفنا أن المتعطل عادة ما يكون فقيرًا؛ لأنه لا يعمل ويكتسب فبالعمل ينال الفرد الأجر، الذي ينفقه على نفسه ومن يعول، والمتعطلون لا يجدون ما ينفقونه إلا على أهم ضروريات الحياة.

---

(١) الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة، دكتور محمد مصطفى عبد ربه، ص٥.

(٢) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٤٠.

والسلع والبضائع إذا ارتفعت أثمانها فإن المتعطلين يكفون عن الإقبال على شرائها إما لعدم حيازتهم لثمنها، وإما لأنها ترهق ميزانيتهم، فيمتنعون عن الشراء، والامتناع عن شراء البضائع يؤدى إلى حالة من الكساد في الأسواق ويؤدى هذا دائمًا إلى أن تقلل المصانع من حجم إنتاجها، بل قد تتوقف عن الإنتاج بالمرة، والسبب في ذلك هو «قلة الاستهلاك»، يقول دكتور محمد عبد الله مغازي: «إن العملية الاقتصادية تعتمد في الأساس على عملية الإنتاج والاستهلاك وكلا الأمرين يعتمد أحدهما على الآخر فالإنتاج يعتمد على وجود الاستهلاك، وقد يتأخر الاقتصاد متأثرًا بذلك بسبب تأثر الإنتاج بقلة الاستهلاك»[1].

إنني أوضحت في هذا التصور الحقيقي لمشكلة البطالة بناء على أقوال أهل الاختصاص، وتوصلت لتعريف البطالة والمتعطل، كما أوضحت أساس تقسيمها عند أهل الاختصاص، وآثارها على الفرد والمجتمع والاقتصاد من وجهة نظر الباحث وهى أكثر من ذلك، وفى ما ورد ذكره تتضح به إشكالية البطالة.

(١) «دور الوقف والزكاة في مواجهة البطالة» دكتور محمد عبد الله مغازي ص٥٥.